قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي –رضي الله عنه- و حوار النبي صلى الله عليه و سلم معه

قاسم علي سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخيرَ والدالِّ على دين الله المتين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن نبينا محمداً ﷺ أرسله الله تعالى إلى الناس كافةً، أبيضِهم وأسودهم، وشريفِهم ووضيعهم، ليدعوهم إلى الله تعالى بالقدوة والحكمة والحسنى، فأرشدهم عليه الصلاة والسلام إلى المَحَجّة، وأقام عليهم الحُجة، وذلك بالاحتكام إلى الدليل الصحيح، والاستناد إلى العقل الرجيح، والالتزام بالحِوار النَّصيح، على النهج الذي خطّه الكتاب المبين، وبيّنه الله ربّ العالمين، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾(يوسف١٠٨).

فهدى الله تعالى بهذا النبي العظيم شعوباً وأُماماً، ممن قَرُب أو بَعُد، عندما استلهموا نعمة العقل والتفكير، وتحرّروا من إسار الهوى والرأي الغَرير.

ولما كانت قصة إسلام عَديّ بن حاتم بن عبدالله الطّائي –بمحطّاتها المختلفة، ومدارجها المتعددة، لاسيما ما جرى بينه وبين النبي ﷺ من محاورة–، حفيلةً بالعبر، وغزيرة الفوائد، مع قلة تداولها بين الناس، وعدم إفرادها بالتأليف والتوجيه حسَب علمي، قصدتُ إثارتها في هذه الورقات، ليُستفاد من دروسها البليغة المتنوعة، ولتُعرف مسالك الحِوار الأمثل التي انتهجها النبي ﷺ، مع التنويه بأسلوبه الحكيم، والإلماع إلى أدبه الكريم ﷺ.

وقَصَص إسلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جزء مهم من السيرة العطرة، التي هي: "دراسة حياة النبي ﷺ وأخباره وأخبار أصحابه على الجملة، وبيان أخلاقه وصفاته وخصائصه ودلائل نبوته وأحوال عصره"[١]. والسيرة وجه من وجوه السنة المطهرة، وقد جعل الشّاه وليّ الله الدِّهْلَوي[٢] علم الحديث من حيث طبيعتُه يتألّف من خمسة فنون، هي: السنن، والسيرة، والتفسير[٣]، والزهد والرقائق، ومعرفة الصحابة.

والسيرة حسب التعريف السابق هي الجانب الأرحب من السنة، التي ينبغي على المسلمين أن يتعرّفوا عليها، ويتفقّهوا بها، ويتعظوا بعبرها، ويستفيدوا من دروسها، ويقتبسوا من مِشْكاتها، لا أن يجعلوها مجرد حكايات تُسرد، وقصائد تُنشد، بل عليهم أن يهتدوا بهدي صاحبها ﷺ، ويتمثّلوها في واقعهم، ويصبغوا بها حياتهم، ليقوّموا اعوجاجهم، ويصلحوا من شأنهم، ويعودوا إلى سالف عهدهم البَهيج.

وينتظم هذا البحث –سوى فواتحه وخاتمته– في مبحثين اثنين، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: إسلامُ عَدِيّ ﷺ وثباتُه ..عرضٌ وحكاية.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما كان من شدة بُغض عَديّ قبل إسلامه للرسول ﷺ.

المطلب الثاني: ظُلمة بلاد الروم ألجأت عَديّاً إلى تحكيم العقل.

المطلب الثالث: أثر أخت عَديّ في حثّه على ملاقاة النبي ﷺ.

المطلب الرابع: قدومُ عَديّ على النبي ﷺ واهتداؤه إلى الحق.

المطلب الخامس: مكانة عَدِيّ عند خلفاء النّبوة.

المبحث الثاني: محطّات هداية عَدِيّ ﷺ وأثرُ الحِوار معه ..توجيه وتحليلٌ.

ويتألف من خمسة مطالب:

المطلب الأول: تقلّب القلوب.

المطلب الثاني: دَوْر الناصح وأثر التجرِبة ووَشِيجة الخُلُق.

المطلب الثالث: حِوار الفِعال والمَقَال.

المطلب الرابع: إزالة العوائق ودلائل النبوة.

المطلب الخامس: الثبات الراسخ.

ومنهجي في هذا العمل: أن مبحثه الأول يغلب عليه جانب السَّرد للوقائع، وذلك بعد تصنيفها وانتقائها، مع تخريج الروايات من الكتب الحديثية إلى جانب مصادر السيرة.

والكتب الحديثية اشتملت على جملة كبيرة من أخبار السيرة النبوية، لكن ليس على سبيل تسلسل الأحداث والربط بينها، كما هو الحال في كتب السيرة التي تُعنى بإيراد تفاصيل الوقائع، وَفْق التسلسل التاريخي وتعاقب السنين. ومن هنا تسامح أهل السِّيَر في نقد مروياتهم، لافتقارهم إلى تأمين صحة كل التفاصيل في الموضوع الواحد المترابط، ولو اختاروا من تلك الروايات المقبول فقط لما تتابع الموضوع وتكامل، لذا كثرت الأحاديث الضعيفة في كتبهم والمعلقات، ومن أراد التحقّق من تلك الروايات فعليه

بالأمهات الحديثية، فإنها تساعده في اختيار الأقوى[٤]. لذا كان حرصي على الرجوع إلى المصادر الحديثية العليا لتوثيق ما يمكن توثيقه مما أَوردَته كتب السيرة.

وجدير بالذكر أن الكثير من أئمة الحديث فرّقوا في التثبت بين أحاديث الأحكام من جهة، وأحاديث الفضائل والرقائق والسيرة من جهة أخرى، لذا لا بأس عندهم من التساهل في القسم الآخِر ما لم يكن تالفاً، ومن ثَمّ لا عَتْب على من تقفّى أثرهم فيه.

وقصة عَديّ بن حاتم في جملتها قوية في ميزان المحدثين، وردت فِقَر منها في الصحيح، وتداولتها بصورة موسّعة بعض الأمهات الحديثية –كمسند الإمام أحمد– بأسانيد جِياد، ولها طرق يشدّ بعضها بعضاً، لذا فإن تساهل بعض أهل السير والتواريخ في نقلها غير مسندة مع دمج رواياتها، لا يُهوّن من شأنها، قال ابن كثير بعد أن ذكر القصة عن ابن إسحاق: "هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أُخر"[٥]. وابن إسحاق يرفعه المحدِّثون في علم المغازي، وقد هذّب ابن هشام كتابه بعد أن رواه عن زياد البَكّائي عن ابن إسحاق، ورضي جمهور العلماء بصورة عامة هذا التهذيب والانتقاء[٦].

واعتنى الواقدي بذكر قصة عَديّ بسياقة أوسع، وهو وإن كان واهياً عند المحدِّثين، فإنّ ما أثبته عنه تلميذه ابن سعد في الطبقات فيه انتقاء في الجملة، وابن سعد ثقة يحرِص على التحرّي في النقل[٧]، ولم أنقل رواية عن الواقدي إلا من خلاله.

هذا عن منهجي في المبحث الأول المختصّ بالوقائع، وأما المبحث الآخر، فهو مبني على ما ورد في سابقه، إذ هو توجيه لتلك الوقائع المصنّفة، واستخلاص لدروسها، للاستفادة من عِبَرها، واحتذاء مُثُلها.

وألتزم في البحث كلّه بتخريج الأحاديث، وتوثيق النصوص المختلفة، وتوضيح المُشكِل، وتفسير الغريب، والتعريف بالبلدان والمواقع، وأحرص في المصادر على اعتماد الأصيل منها.

وأرجو أن أُوفّق في عرض قصة إسلام عَدِيِّ بنِ حاتم وتوجيهها، وفي حكايتها وتحليلها، لتكون مَعْلَماً في الدعوة إلى الله، ونِبراساً لشُدَاة الحق، وأُنموذجاً من نماذج الحِوار الأمثل مع الآخَر، الذي تجلّت فيه أخلاق النبوة الكاملة، وحكمتها البالغة، ودلائلها الباهرة. وما أحوج الناس اليوم إلى التبصّر بتلك المواقف الهادية، لتكون محرِّكاً لهم نحو الرشاد، ودافعاً إلى الحق، وقدوة في الفلاح. والله ولي التوفيق.

توطئة

قبيلة طَيِّئ وأثرها في الإسلام

يرجع العرب في أنسابهم إلى أصلين عريقين: عدنان وقحطان. وطَيِّئ من قحطان، وكانت مساكنها في اليمن[٨]، فلما كان سَيْل العَرِم بسد مأْرِب انتقلوا حتى اكتنفوا جَبَلي: (أَجَأ وسَلْمى)[٩]، اللّذَين عُرفا بجَبَلَي طَيِّئ، مع التوسع شَمالاً، ومساكنهم تلك تقع بين العراق والحجاز.

وكانت طَيِّئ في جاهليتها تعبد الأوثان، شأنها في ذلك شأن سائر العرب، وصنمها يُدعى (الفُلْس)[١٠].

وفي ربيع الآخر من السنة التاسعة من الهجرة النبوية المشرّفة، وقبل غزوة تبوك، بعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في سَرِيّة تضم خمسين ومئة رجل من الأنصار، على مئة بعير وخمسين فرساً، إلى بلاد طَيِّئ لهدم الفُلْس، فهدموه وغنموا وسَبَوا، وكان من السبي سَفّانة بنت حاتم الطائي[١١]، ويقال: إن المسبيّة كانت أختَ حاتم لا ابنته، وأما عَديّ فبادر إلى الفرار لما شعر بقدوم السَّرِيّة، وكان قد أعدّ نفسه لهذه الرَّزِيّة[١٢].

وفي السنة العاشرة من الهجرة الشريفة –وقيل: في التاسعة، لكن بعد السَّرِيّة–، قدم وفد طَيِّئ على النبي ﷺ، مع سَيِّدهم زيدِ الخَيْل، فعَرَض رسول الله ﷺ عليهم الإسلام، فأسلموا وحَسُن إسلامهم، قال ابن إسحاق: "وقال رسول الله ﷺ –كما حدثني من لا أتهم من رجال طَيِّئ–: ما ذُكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتُه دون ما يُقال فيه، إلا زيدُ الخيل، فإنه لم يبلغ كلَّ ما كان فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيدَ الخير،

وقطع له فَيْداً[١٣] وأَرَضِين معه، وكتب له بذلك، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: إن ينجُ زيد من حُمّى المدينة...فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه...أصابته الحُمّى بها فمات...فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتُبه التي قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار"[١٤]. فَعَلتْ ذلك جَزَعاً عليه، دون أن تعلم مصدر تلك الكتب وما تحويه.

وبعد وفاة النبي ﷺ، وارتداد من ارتد من العرب، تبع عوام طَيِّئ طُليحةَ بنَ خُويلد الأَسَدي المتنبىء، لكن عَديَّ بن حاتم الذي أسلم وحَسُن إسلامه اجتهد في استنقاذهم، ووعَظَهم وخوّفهم، فاستجابوا له ورجعوا إلى الجادّة، وأنقذهم الله به، وبذلك كان عَديّ "خيرَ مولود ولد في أرض طَيِّئ، وأعظَمَه عليهم بركة"[١٥].

ثم كان لطَيِّئ أثر محمود في قتال المرتدين، ونُصرَةِ بعث أبي بكر ﷺ[١٦]، كما كان لها مشاهد كريمة أخرى في نصرة الإسلام وأهله، قال أبو بكر الخطيب متحدِّثاً عن عَديّ وقومه: "ثم أسلم وحَسُن إسلامه، ورجع إلى بلاد قومه، فلما قُبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب ثَبَت عَديّ وقومُه على الإسلام، وجاء بصَدَقاتهم إلى أبي بكر الصِّدّيق، وحضر فتح المدائن"[١٧].

المبحث الأول

إسلامُ عَدِيّ ﷺ وثباتُه

عرضٌ وحكاية

تمهيد: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة المشرّفة، في شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة، ثم فرغ من غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع، وأسلمت ثَقيف في شهر رمضان من هذه السنة، إذ جاء وفدهم إلى المدينة المنورة بعد أن قَفَل النبي ﷺ من تبوك، بعد كلّ هذا، تواترت وفود العرب من كل جهة إلى النبي ﷺ مُذعنة للإسلام، لمّا علموا أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوته، فتوافدوا عليه، وتَنَاثَلوا إليه، ودخلوا في دين الله تعالى، حتى سُميت سنةُ تسع بعام الوفود، ثم تتابعت تلك الوفود في السنة العاشرة.

وكان ممن قَدِم على النبي ﷺ في تلك الآونة، الأميرُ الشريف، والجوادُ[١٨] ابن الجواد، الحكيم، الحليم، الحازم، سيد قومه وابن سيدهم، أبو طَريف وأبو وَهْب عَديُّ بن حاتم بن عبدالله القَحطانيّ الكَهْلانيّ الطّائيُّ الثُّعَليّ، المتوفى سنة سبع أو ثمان وستين، وله مئة وعشرون سنة[١٩]، قال ابن حجر: "أسلم في سنة تسع، وقيل: سنة عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك"[٢٠]. ثم عاد عَديّ إلى قومه، وسكن بعدُ الكوفة في الطائيين، ثم تحول إلى قَرْقِيسياء[٢١] من الجزيرة، وتوفي بها[٢٢].

وكان تَنَصُّر عَديّ في الجاهلية تأثراً بما كانت عليه دولة الروم الممتدة إلى جنوب بلاد الشام، والمتسلطة على الأطراف الشمالية –الغربية والوسطى– من الجزيرة العربية.

المطلب الأول: ما كان من شدة بُغض عَديّ قبل إسلامه للرسول ﷺ:

كراهية الكفار للحق والإيمان أمر معهود، وشأن عام لا يختص ببعض الأفراد، لكن عَديّ بن حاتم كانت كراهيته للإسلام ولرسوله ﷺ أشدَّ من كراهية الكثير من الكفرة، يدلّ على ذلك شهادته على نفسه، وكذلك تصرفه، إذ كان مستعداً للفرار وهجر الديار، بمجرد أن يشعر باقتراب جند الإسلام من بلاده، قال محمد بن إسحاق عن شيبان بن سعد الطّائي: "كان عَديّ بن حاتم طَيِّئ يقول –فيما بلغني–: ما رجل من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منيّ!، أما أنا فكنت امرأ شريفاً، وكنت نصرانياً، أسير في قومي بالمِرباع[٢٣]، فكنت في نفسي على دين، وكنت مَلِكاً في قومي لِما كان يُصنع بي، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته[٢٤]، فقلت لغلام كان لي عربيٍّ –وكان راعياً لإبلي–: لا أبا لك!، أَعْدد لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً سِماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطِئ هذه البلاد فآذنّي، ففعل.

ثم إنه أتاني ذات غَدَاة فقال: يا عَديّ، ما كنت صانعاً إذ غشيتْك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرِّب إليّ أجمالي، فقرَّبها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: أَلْحَق بأهل ديني من النصارى بالشام[٢٥]...وخَلَّفت بنتاً لحاتم في الحاضر[٢٦]، فلما قدمت الشام أقمت بها"[٢٧].

وعن عَديّ بن حاتم أيضاً أنه قال: "بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة، وما أعلم أحداً من العرب كان أشدَّ بغضاً ولا كراهية له مني، حتى لحقت بالروم"[٢٨].

فسيرة عَديّ تلك، وكلماته هذه، أعربت عن مدى ما كان يختزن في داخلته من حقد على الإسلام ورسوله وأهله، قبل أن يهديه الله تعالى إلى الحق، ويوفّقه للرشاد.

المطلب الثاني: ظُلمة بلاد الروم ألجأت عَدِيّاً إلى تحكيم العقل:

لم يلبث عَديُّ بن حاتم أن كره المُكْث في بلاد الروم، أشدّ من كراهيته لظهور النبي ﷺ!، بل دفعته تلك الكراهية المستجدة إلى ملاقاة النبي ﷺ، واستكشاف ما عنده، وفي ذلك يقول: "لما بلغني خروج رسول الله ﷺ، فكرهت خروجه كراهةً شديدة، خرجت حتى وقعتُ ناحية الروم، حتى قَدِمتُ على قيصر. فكرهتُ مكاني ذلك أشد من كراهيتي لخروجه، فقلت: والله لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذباً لم يضرَّني، وإن كان صادقاً علمتُ، فقدمتُ فأتيته"(٢٩).

وحكى مرة ما دار في خَلَده وهو في بلاد الروم، فقال: "فلما بلغني ما يدعو إليه – (يعني النبي ﷺ)– من الأخلاق الحسنة، وما قد اجتمع له من الناس، ارتحلت حتى أتيته"(٣٠).

فالاحتكام إلى العقل طوعاً أو كَرْهاً فيه خير كثير، ومراجعة عَديّ بن حاتم لنفسه فيها درس بليغ، وعبرة لكل معتبر، لأن ركوب الهوى يختلج صاحبه نحو الضياع والهلاك شيئاً فشيئاً.

المطلب الثالث: أثر أخت عَدِيّ في حَثّه على ملاقاة النبي ﷺ:

تقدم أن عَديّ بن حاتم لما احتمل أهله وولده وفرّ إلى الشام، ترك أخته –أو عمته– في قومه ولم يحملها معه، ولعله أراد أن يتخفّف من الأثقال ليكون الفرار أسهل، قال

عَديّ بن حاتم بعد أن ذكر فراره بأهله وولده: "وتَخَالَفني خيل لرسول الله ﷺ، فتُصيب ابنة حاتم فيمن أُصيب، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طَيِّئ، وقد بلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشام، فجُعلت ابنة حاتم في حَظِيرة بباب المسجد، كانت السبايا يُحبسن بها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جَزْلَة[٣١]، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُن عليّ مَنّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟، قالت: عَديُّ بن حاتم، قال: الفارُّ من الله ورسوله؟!.

قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان الغد مرّ بي[٣٢]، وقد أيستُ، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قُومي إليه فكلّميه. قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُن عليَّ مَنّ الله عليك، قال: قد فعلتُ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يُبلِّغك إلى بلادك، ثم آذنيني. قالت: فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلميه، فقيل: علي بن أبي طالب. قالت: وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ –أو من قُضاعة–. قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد قدم رَهْط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحَمَلني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

–(قال عَديّ)–: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظَعينة[٣٣] تَصُوب إليّ تَؤُمُّنا، فقلت: ابنةُ حاتم، فإذا هي هي!، فلما وَقَفَت عليّ انسَحَلَت[٣٤] تقول: القاطع!، الظالم!، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بُنيّة والدك وعورته؟!. قلت: يا أُخيّة، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي عذر، لقد صنعتُ ما ذكرتِ. ثم نَزَلَت فأقامت عندي، فقلت لها – وكانت امرأة حازمة–: ماذا تَرَينَ في أمر هذا الرجل؟، قالت: أرى –والله– أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن مَلِكاً فلن تَـــــذِلّ في عزّ

اليمن[٣٥]، وأنت أنت!. قلت: والله إن هذا لَلرأي"[٣٦].

وهذه الحكاية لا تدل بوضوح على إسلام أخت عَديّ في تلك الآونة، إلا أن الخطيب البغدادي صرح بأنها أسلمت قبل ارتحالها إلى أخيها، فقال: "وأدرك المسلمون أخته في حاضر طَيِّئ، فأخذوها وقدموا بها على رسول الله ﷺ، فمكثت عنده، ثم أسلمت، وسألته أن يأذن لها في المصير إلى أخيها عَديّ، ففعل، وأعطاها قطعة من تِبْر فيها عشرة مثاقيل، فلما قدمت على عَديّ أخبرته أنها قد أسلمت، وقصّت عليه قصتها"[٣٧].

ولا بأس هنا من ذكر تلك الرواية التي فيها أن المسبيّة هي عمة عَديّ، وإن كان المشهور الأول، فقد روى عَبّاد بن حُبَيش عن عَديّ بن حاتم قوله: "جاءت خيل رسول الله ﷺ –أو قال: رسل رسول الله ﷺ– وأنا بعَقْرب[٣٨]، فأخذوا عمتي وناساً. قال: فلما أَتَوا بهم رسول الله ﷺ فصُفُّوا له، قالت: يا رسول الله، نأى الوافِد، وانقطع الولد، وأنا عجوزٌ كبيرة ما بي من خِدمة[٣٩]، فمُنّ عليّ مَنّ الله عليك. قال: من وافِدُك؟، قالت: عَديّ بن حاتم. قال: الذي فرّ من الله ورسوله؟!. قالت: فمُنّ عليّ. قالت: فلما رجع ورجل إلى جنبه –نُرى أنه علي– قال: سَليه حُمْلاناً. قال: فسألَتْه، فأمر لها به. قال: فأتتني، فقالت: لقد فعلتَ فَعلةً ما كان أبوك يفعلها!، ائته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، قال: فأتيته"[٤٠].

وثَمّة حكاية ضافية تعزِّز من كون تلك المرأة عمة عَديّ لا أخته، وأنها تُركت عمداً لكِبَرها، لكنها رواية واهية، فعن عامر الشَّعبي عن عَديّ بن حاتم أنه قال: "لما قدم النبي ﷺ المدينة وهاجر إليها، جعل يبعث السرايا، فلا تزال إبل قوم قد أغارت عليها خيله، فلما رأيت ذلك، قلت: والله لو خَلّفت أجمالاً، فإن أُغيرَ على النَّعَم كان عندي شيء

أتحمّل عليه، قال: فخلّفت أجمالاً من إبلي، فكانت تكون قريباً مني، فوالله ما شعرت ذات يوم إذ راعي الإبل قد جاء يعدو بعصاه، قلت: ويلك ما لك؟!، قال: أُغير –والله– على النَّعَم. قلت: من أغار عليها؟!، قال: خيل محمد. قلت لنفسي: هذا الذي كنت أحذر، فوثبت أُرَحِّل أجمالي أنجو بأهلي، وكنت نصرانياً، ولي عَمّة، فدخلتْ، فقلت: ما تُراه يصنع بها؟!، وحملتُ امرأتي، وجاءتني عمتي فقالت: يا عَديّ، أما تتقي الله أن تنجو بامرأتك وتدع عمتك؟!، فقلت: ما عسى أن يصنعوا بها، امرأة قد خَلَا من سِنّها[٤١]، فمضيت ولم ألتفت إليها حتى وردت الشام.

فانتهيت إلى قيصر وهو يومئذ بحمص، فقلت: إني رجل من العرب وأنا على دينك، وإن هذا الرجل ليتناولنا فيذلنا، فكان المفرّ إليك، قال: اذهب فانزل مكان كذا وكذا، حتى نرى من رأيك، فذهبت فنزلت المكان الذي قال لي، فكنت به حيناً، فبينا أنا ذات يوم إذا أنا بظَعِينة متوجهة إلينا، حتى انتهت إلى بيوتنا، فإذا هي عمتي، فقالت لي: يا عَديّ، أما اتقيت الله أن نجوت بامرأتك وتركت عمتك؟!، قلت: قد كان ذلك، فأخبريني ما كان بعدنا.

قالت: إنكم لما انطلقتم أتتنا الخيل فسَبَونا، وذُهب بي في السَّبي حتى انتهيت إلى المدينة، وكنا في ناحية من المسجد، فمرّ علينا رسول الله ﷺ عند القائلة، وخلفه رجل يتبعه وهو علي بن أبي طالب، فأومأ إليّ ذلك الرجل أن كلّميه، فهتفت به، فقلت: يا رسول الله، هلك الولد، وغاب الوافد، فمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ومن وافِدُك؟، قلت: عَديّ بن حاتم الطّائي، قال: الذي فَرّ من الله ورسوله؟!، ثم مضى ولم يلتفت إليّ، حتى كان الغد، فمر بي نحو تلك الساعة، وخلفه ذلك الرجل، فأومأ إليّ أن كلميه، فهتفت به، فقلت: يا رسول الله، هلك الولد، وغاب الوافد، فمُنّ عليَّ مَنّ الله

عليك، قال: ومن وافِدُك؟، قلت: عَديّ بن حاتم الطّائي، قال: الذي فَرّ من الله ورسوله؟!، ولم يلتفت إليّ.

فلما كان اليوم الثالث نحواً من تلك الساعة، مرّ وخلفه ذاك -تعني علياً-، فأومأ إليّ الرجل أن كلّميه، فأومأتُ إليه بيدي أن قد كلّمته مرتين، فأومأ إليّ أن كلّميه أيضاً، فهتفت به، فقلت: يا رسول الله، هلك الولد، وغاب الوافد، فمُنّ عليّ مَنَّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟، قلت: عَديّ بن حاتم، قال: الذي فَرّ من الله ورسوله؟!، ثم قال: اذهبي فأنت حُرّة لوجه الله عز وجل، فإذا وجدت أحداً يأتي أهلك فأخبرينا نحملك إلى أهلك، قالت: فانطلقت فإذا أنا برُفقة من تَنُوخ يحملون الزيت، فباعوا زيتهم وهم يرجعون، فحَملَني على هذا الجمل وزوّدني.

قال عَديّ بن حاتم: ثم قالت لي عمتي: أنت رجل أحمق، أنت قد غلبك على شرفك من قومك من ليس مثلَك، ائت هذا الرجل فخذ بنصيبك، فقلت: والله لقد نصحتْ لي عمتي، فوالله لو أتيتُ هذا الرجل فإن رأيتُ ما يسرّني أخذت، وإن رأيت غير ذلك رجعتُ، وكنت أَضَنَّ بديني"[٤٢].

لكن مما يرجح كونَ تلك المرأة أخت عَديّ بن حاتم لا عمته -وماذا يستفاد من عمته العجوز عندما تُسبى؟!-، ما رواه كُمَيل بن زياد النَّخَعي، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "لما أُتي -(يعني رسول الله ﷺ)- بسبايا طَيِّئ، وقفت جارية حمراء...معتدلة القامة والهامة...فلما رأيتها أُعجبتُ بها...فلما تَكَلَّمَت أُنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلّي عني ولا تُشمت بي أحياءَ العرب، فإني ابنةُ سيد قومي، وإن أبي كان يَحْمي الذِّمَار[٤٣]، ويفُكّ العاني[٤٤]، ويُشبع الجائع، ويَكسو العاري، ويَقْري الضيف، ويُطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولا يردّ طالبَ حاجة قط،

أنا ابنة حاتم طَيِّئ، فقال النبي ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق"(٤٥).

فإن صحّت هذه الرواية فأكرم بها!، لما تشتمل عليه من فضائل ومحامد، وأن الإسلام جاء ليتمّم مكارم الأخلاق وينشرها، وأن المتعلق بتلك المكارم حقيق أن يُجزى ويُكرم.

المطلب الرابع: قدومُ عَدِيّ على النبي ﷺ واهتداؤه إلى الحق:

اجتمعت عوامل متعددة، حملت عَديّ بن حاتم على المثول باختياره بين يدي النبي ﷺ، وهي: كراهيته المكوث في ديار الروم، بعيداً عن بلده وقومه وهو الأمير الشريف، واستكشافُه أمر النبي ﷺ بنفسه بعد أن دانت له العرب، وما كان يدعو إليه هذا النبي ﷺ من مكارم الأخلاق مع امتثاله الكامل لها وتنويهه بأصحابها، فضلاً عن تشجيع أخته – أو عمته– العاقلة الحَصِيفة له، بعد أن رأت النبي ﷺ، وشاهدت معاملته الكريمة الرحيمة، وثناءه على مكارم أبيها، وإكرامه لها، ومَنَّه عليها.

وقد كان النبي ﷺ يتطلع إلى إسلام عَديّ، وكان يقول: "إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي"(٤٦).

خرج عَديّ من بلاد الروم والقياصرة، قاصداً طيبة الطيبة التي سطعت بأنوار النبوة، دون أن يطلب أماناً من أحد. وعن هذه الرحلة المُنجية، والوجهة الشريفة الهادية، يقول عَديّ بن حاتم –فيما يرويه محمد بن إسحاق عن شيبان بن سعد الطّائي–: "فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت

عليه، فقال: مَن الرَّجل؟، فقلت: عَديّ بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي[٤٧] إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها!، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملِك!.

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته، فتناول وسادة من أَدَم مَحْشُوّة لِيفاً، فقذفها إليّ، فقال لي: اجلس على هذه، قلت: لا، بل أنت فاجلس عليها، قال: لا، بل أنت، فجلست، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض!، قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر مَلِك.

ثم قال: إيه يا عَديّ بن حاتم!، ألم تك رَكُوسِياً[٤٨]؟، قلت: بلى، قال: أولم تكن تسير في قومك بالمِرْباع؟، قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك!، قلت: أجل والله. عرفتُ أنه نبي مُرسل، يعلم ما يُجهل. ثم قال:

لعله –يا عَديّ بنَ حاتم– إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين، ما ترى من حاجتهم، فوالله لَيُوْشِكن المال يَفِيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه.

ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين، ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله لَيُوْشِكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية[٤٩] على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف إلا الله.

ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه، أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وايم الله لَيُوْشِكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت ..فأسلمت"[٥٠].

وعقّب الراوي على هذه الحكاية بقوله: "فكان عَديّ بن حاتم يقول: مضت الثنتان، وبقيت الثالثة، والله لتكونَنّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت، ورأيت

المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة، لَيَفيضنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه"[٥١].

وفي رواية أخرى، قال عَديّ: "فقدمتُ فأتيته، فلما قدمتُ، قال الناس: عَديُّ بن حاتم! عَديُّ بن حاتم!، فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال لي: يا عَديَّ بن حاتم، أَسْلِم تَسْلَم –ثلاثاً–، قلت: إني على دين، قال: أنا أعلمُ بدينك منك. فقلت: أنت أعلمُ بديني مني؟!، قال: نعم، ألستَ من الرَّكُوسِيّة، وأنت تأكُلُ مِرباع قومك؟!، قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحِل لك في دينك. فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها.

فقال: أما إني أعلم ما الذي يمنعُك من الإسلام، تقول: إنما اتَّبعه ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة له، وقد رمَتهمُ العَرب، أتعرف الحِيْرَة[٥٢]؟، قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده، لَيُتِمَّنّ الله هذا الأمر، حتى تخرجَ الظَّعينة من الحِيْرَة حتى تطوف بالبيت في غير جِوار أحد، ولَيُفْتَحَنَّ كنوزُ كِسرى بنِ هُرْمُز. قلت: كِسرى بن هُرمز؟!، قال: نعم، كسرى بن هُرمز، ولَيُبْذَلَنَّ المالُ حتى لا يقبله أحد"[٥٣].

قال الراوي: "قال عَديّ بن حاتم: فهذه الظَّعينةُ تخرج من الحِيرة فتطوفُ بالبيت في غير جِوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كِسرى بن هُرمز، والذي نفسي بيده لتكونَنَّ الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها"[٥٤].

ومما يزيد الروايتين المذكورتين وضوحاً وبياناً، ويكشف سبب ورود ما فيهما: ما أخرجه البخاري من طريق أبي مجاهد سعد الطّائي قال: "أخبرنا مُحِلّ بن خليفةَ –(الطائي)–، عن عَديّ بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفَاقَةَ، ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قطعَ السَّبيل، فقال: يا عديُّ، هل رأيت الحِيرة؟، قلت: لم أرهـــا،

وقد أُنبئت عنها، قال:

فإن طالت بك حياةٌ، لتَرَيَنّ الظّعينةَ ترتحل من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، –قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّارُ طَيِّئ، الذين قد سَعَّروا البلاد ؟![٥٥]–.

ولئن طالت بك حياة، لَتُفْتَحَن كنوز كِسْرى. قلت: كسرى بنِ هُرْمُزَ؟!، قال: كسرى بنِ هُرْمُزَ.

ولئن طالت بك حياة، لَتَرَيَنّ الرجلَ يُخرِج مَلْءَ كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبلُه منه فلا يجد أحداً يقبله منه"[٥٦].

وفي آخر هذه الرواية: "قال عَديّ: فرأيت الظّعينة ترتحلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرْمُز. ولئن طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنّ ما قال أبو القاسم ﷺ: يُخرج مَلْءَ كفه"[٥٧].

ومن المفيد هنا بعدما تقدم من روايات، ذكرُ ما دار بين النبي ﷺ وعَديّ بن حاتم، من خلال الرواية التي فيها ذكر عمة عَديّ، والتي نبّهت إليها آنفاً، قال عَديّ بن حاتم –فيما رواه عنه عَبّاد بن حبيش–: "فأتيته، فإذا عنده امرأة وصِبيانٌ (أو صبي)، فذكر قُربهم من النبي ﷺ، فعرفت أنه ليس مُلك كسرى ولا قيصر، فقال لي:

يا عَديّ بن حاتم، ما أَفَرّك[٥٨]؟، أن يقال: لا إله إلا الله؟!، فهل من إله إلا الله؟!.

ما أَفَرّك؟، أن يقال: الله أكبر؟!، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟!.

قال: فأسلمتُ، فرأيت وجهه استبشر، وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى"[٥٩].

وعن عَديّ أيضاً –فيما رواه الشَّعبي عنه– قال: "فأتيت حتى دخلت المدينة في غير جِوار[٦٠]، فانتهيت إلى المسجد، فإذا أنا فيه بحَلْقة عظيمة، ولم أكن قط في قوم إلا عُرفت، فلما انتهيت إلى الحَلْقة سلّمت، فقال لي رسول الله ﷺ: من أنت؟، قلت: أنا عَديّ بن حاتم الطّائي، وكان أعجب شيء إليه أن يُسلّم عليه أشراف العرب ورؤوسهم، فوثب من الحلقة، فأخذ بيدي فوجّه بي إلى منزله، فبينا هو يمشي معي إذ نادته امرأة – وغلام معها–: يا رسول الله، إن لنا إليك حاجة، فخَلَوا به قائماً معهما!، حتى أَوَيْت[٦١] له من طول القيام، وقلت في نفسي: أشهد أنك بريء من ديني ودين النعمان بن المنذر[٦٢]، وإنك لو كنت مَلِكاً لم يقم معه صبي وامرأة طول ما أرى، فقذف الله له في قلبي حباً، حتى انتهيت إلى منزله، فألقى إليّ وسادة حشوها ليف، فقعدت عليها، وقعد هو على الأرض![٦٣]، فقلت في نفسي: وهذا!.

ثم قال لي: ما أَفَرّك من المسلمين إلا أنك سمعتهم يقولون: لا إله إلا الله، وهل من إله إلا الله؟!.

وما أَفَرّك من المسلمين إلا أنك سمعتهم يقولون: الله أكبر، فهل تعلم شيئاً هو أكبر من الله عز وجل؟!.

ولم يزل بي حتى أسلمت، وأذهب الله عز وجل ما كان في قلبي من حبّ النصرانية"[٦٤].

ثم ولّى النبي ﷺ عَديّ بن حاتم على صَدَقات طَيِّئ وأَسَد، وذلك في مستهل سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية المشرّفة(٦٥).

وقد روى عَديّ عن النبي ﷺ نحو عشرين حديثاً(٦٦).

المطلب الخامس: مكانة عَدِيّ عند خلفاء النّبوة:

أسلم عَديّ بن حاتم عن نظر واقتناع واختيار، فحسُن إسلامه وامتثاله وذبّه عن الدين، ومما يدل على ذلك قوله: "ما دخل وقتُ صلاة قطّ حتى أشتاقَ إليها"(٦٧)، وقوله: "ما أقيمت الصلاة منذ أسلمتُ إلا وأنا على وضوء"(٦٨). ويؤكده حرصه الشديد على ثبات قومه على الإسلام، وعدم انجرارهم وراء أهل الرِّدّة، حتى قيل: "كان خيرَ مولود ولد في أرض طَيِّئ، وأعظمَه عليهم بركة"(٦٩).

وميزان التشريف والتقديم عند الصحابة، هو الميزان الذي وضعه الله سبحانه وتعالى للتفاضل بين الناس، وهو التقوى ونصرة هذا الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾(الحجرات ١٣)، وقال أيضاً: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾(العصر).

لقد عرف كبار الصحابة لعَديّ بن حاتم مكانته ونصرته وجهاده، روى عمرو بن حُريث المخزومي ﷺ عن عَديّ ﷺ قوله: "أتينا عمر في وفد، فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويُسَمِّيهم، فقلت: أما تعرفُني يا أمير المؤمنين؟!، قال: بلى، أسلمتَ إذ كفروا(٧٠)، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووفّيتَ إذ غدروا، وعَرَفتَ إذ أنكروا. فقال عَديّ: فلا أبالي إذاً(٧١)"(٧٢).

وثَمّة رواية أخرى أوسع وأوضح، وهي: "عن الشعبي، عن عَديّ بن حاتم قال: أتيت عمرَ بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يَفرِض للرجل من طَيِّئ في ألفين، ويُعرض عني. قال: فاستَقْبَلْتُه، فأعرض عني، ثم أتيته من حِيال وجهه فأعرض عني. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أما تعرفُني؟!، قال: فضحك حتى استلقى لقَفَاه، ثم قال: نعم والله إني لأعرفك، آمنتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووفَّيتَ إذ غدروا، وإن أول صدقةٍ بَيّضَتْ وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه[٧٣] صدقةُ طيِّئ، جئتَ بها إلى رسول الله ﷺ. ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنما فرضتُ لقومٍ أجْحَفَت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم لما يَنُوبُهم من الحقوق"[٧٤]. لقد جاء عَديّ بتلك الصدقات بعد وفاة النبي ﷺ وبعد ارتداد من ارتد، واشتملت على ثلاث مئة من الإبل[٧٥]، فكأنه بذلك سرّ النبي ﷺ[٧٦]. والله أعلم.

ومما يُظهر أيضاً جلالة عَديّ عند أئمة الصحابة الحكاية الآتية، قال الواقدي: "حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن نافع مولى بني أُسيد، عن نائل مولى عثمان بن عفان –وكان حاجبه–، قال: جاء عَديّ بن حاتم إلى باب عثمان وأنا عليه، فنحّيته عنه، فلما خرج عثمان إلى الظهر عَرَض له عَديّ، فلما رآه عثمان رحّب به وانبسط إليه، فقال عَديّ: انتهيتُ إلى بابك وقد عَمّ إذنُك الناس، فحَجَبَني عنك، فالتفت إليّ عثمان فانتهرني، وقال: لا تَحْجُبْه، واجعله أول من تدخله، فلعَمْري إنا لنعرف حقّه وفضله، ورأيَ الخليفتين فيه وفي قومه، فقد جاءنا بالصدقة يسوقها، والبلاد تضطرم كأنها شُعْلة النار من أهل الرِّدّة، فحَمَده المسلمون على ما رأوا منه"[٧٧].

وكان أبو بكر الصديق ﷺ قد بعث عَديّ بن حاتم إلى قومه أيام الرِّدّة، ليحملهم على الجادّة ولزوم الحق، قبل وصول خالد بن الوليد ﷺ إلى تلك الديار لقتال أهل الرِّدّة،

فبذل عَديّ جهده في ذلك حتى استجاب له قومه(٧٨)، ثم شاركوا في حرب المرتدين، وعُقد لهم لواء دفعه خالد بن الوليد ﷺ إلى عَديّ بن حاتم ﷺ(٧٩).

كما كان لعَديّ مكانة جليلة عند علي بن أبي طالب ﷺ، لذا ولاه على طَيِّئ وغيرها يوم صِفِّين، وقد شهد عَديّ مع علي الجَمَل وصِفِّين والنَّهْروان(٨٠)، وقُتل أولاده الذكور مع علي ﷺ(٨١)، وفُقئت عينه يوم الجمل(٨٢).

استحق عَديّ بن حاتم تلك المكانة عند أصحاب النبي ﷺ، لاسيما الخلفاء الراشدين، كما اكتسبها من قبلُ من النبي ﷺ، وذلك ليقينه الصادق، وحسن بلائه، وعظيم جهاده.

المبحث الثاني

محطّات هداية عَدِيّ ﷺ وأثرُ الحِوار معه

توجيهٌ وتحليل

تمهيد: النفوس مجبولة على كراهية من يخالفها الرأيَ والاعتقاد، ويزداد هذا النفور مع النأي، حتى يتعاظم الخَطْبُ ويتفاقم، وذلك لأن التواصل العقلي والنفسي ينقطع حيث البعد، فينفتح بدلاً عنه بابُ التخييلات والدسائس، الذي يُرَسِّخ في النفوس جذور الكراهية، ويُوقد في القلوب جَذْوة البغضاء.

والعلاج الناجع لذلك يكون بفتح قناة التواصل والحوار، وهذه القناة قد تعمل على فتحها الظروف والحاجات، كما يقتدر على فتحها المصلحون من البشر والناصحون، بل

إن المتعادِيَيْن كثيراً ما يلتقيان دون وسيط عندما يغلب العقل الهوى، ولطالما جَمَع بين المتباعدين اللقي على مكارم الأخلاق، وكل هذه الأبواب انفتحت أمام عَديّ بن حاتم ﷺ، فتمكن من دخول ساحة الحق من أبواب متفرقة.

المطلب الأول: تقلّب القلوب:

تمكن بغض النبي ﷺ في قلب عَديّ بن حاتم بادي الأمر، لمخالفة النبي ﷺ لما تعارف عليه العرب من شرك وفساد، فلم يسمح عَديّ لعقله أن يتحرر من أسر تلك العادات، مع أنه كان من ذوي الهَيْئات والمُروءات!، لكن أنّى للمروءة التحقّق ولم تصطبغ بنور الحق وصفاء التوحيد؟!.

ومِثل عَديّ في ذلك كثير، كثُمامةَ بن أُثَال سيدِ أهل اليمامة، الذي امتلأ بغضاً للنبي ﷺ، لكنه لما رآه وحاوره وشاهد سمو خلقه، انقلب الحال، وحسن المآل.

وهذه قصة ثُمامة ليُعرف النظير بالنظير، ويُدرك المثال بالمثال، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "بَعَث النبي ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حَنِيفة، يقال له: ثُمامةُ بن أُثَال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثُمامةُ؟، فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلْني تقتلْ ذا دم، وإن تُنعمْ تنعمْ على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثُمامةُ؟، قال: ما قلتُ لك: إن تُنعم تُنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثُمامةُ؟، فقال: عندي ما قلتُ لك، فقال: أطلقوا ثُمامة.

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغضَ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العُمرة، فماذا ترى؟، فبشّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل: صَبَوْتَ؟!، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حِنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ"(٨٣).

فهذه الحادثة بطولها، تشبه كثيراً قصة إسلام عَديّ ﷺ بمتعلقاتها من أسر أخته وما واكبه من مرور النبي ﷺ بها ومراجعتها له، فعَديّ وثُمامة كلاهما أسرف في بغض رسول الله ﷺ، لكن لما اجتمع كل واحد به، واستشعر منه الصدق والبر والنصيحة والرحمة، بعيداً عن حَميّة الجاهلية، تحوّل من أدنى دركات الضَّغينة والبغضاء، إلى أعلى درجات المحبة والصفاء، وقد عبّر عن ذلك ثُمامة بما سبق قريباً، وأما عَديّ فقال: "فقذف الله في قلبي له حباً".

وهذا درس بليغ للمربين والدعاة، بأن لا يستعجلوا الثمرة قبل أوانها، ولا ييأسوا عند الصدود، ولا ينقطعوا عن البلاغ، لأن القلوب بيد الله وحده يقلّبها كيف يشاء، فكم من قلب كان كالحجارة أو أشدّ قسوة، وإذ به يلين فجأة ليكون أرق من الحرير!.

المطلب الثاني: دَوْر الناصح وأثر التجرِبة ووَشِيجة الخُلُق:

كلّ واحد من هذه الثلاثة مِشكاة نور، ودرب هداية، ومَنْفَذ نجاة، واجتماعها يُؤذن بالنُّجْح والفلاح، وقد تضافرت ثلاثتها في هذه القصة لينبَلِج الصبح عن قُرب دون طول انحباس.

دور الناصح الحَصيف:

لما أُسرت أخت عَديّ بن حاتم –أو عمته، كما قيل، والأول أشهر وأرجح–، كان لها مع النبي ﷺ حِوار متجدد، حظيت عقبه بعفو النبي ﷺ، وجميل صنعه، وكريم أخلاقه، وعندما فَكّ عنها قَيْد الجسم القَسْري، إذ بالقلب ينسج وِشَاح الحب الطوعي، الذي لا يرضى صاحبه بالانفكاك عنه، بل يزيده القرب قرباً، والوصل شَغَفاً، ولسان الحال يقول ما قاله رُؤْبة بن العَجّاج الراجز:

لو أشربُ السُّلْوانَ ما سَلِيتُ ما بي غِنى عنكَ وإن غَنِيتُ(٨٤)

وإن إطلاق النبي ﷺ لأخت عَديّ بتلك الصورة الكريمة الباهرة، وتحدُّبَه عليها، وثناءه على فعل أبيها، كان له أكبر الأثر في نفسها، ثم في نفس أخيها عَديّ، الذي تربى في بيت المروءة والمكارم وعرفان الجميل، وكأنه استشرف عن بُعد قول أبي الطيب:

وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ مُحَبّبٌ وكل مكان يُنبتُ العِزَّ طَيِّبُ(٨٥)

نعم، كان لأخت عَديّ الأثرُ الواضح في عزمه على لقاء النبي ﷺ، لاسيما وأنها المرأة الجَزْلة العاقلة التي حاورت النبي ﷺ، ورأت فيه كل المحامد عن كَثَب، قال لها عَديّ: "ماذا تَرَيْن في أمر هذا الرجل؟، قالت: أرى –والله– أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن مَلِكاً فلن تَذِلّ في عز اليمن، وأنتَ أنت!، فقال عَديّ: والله إن هذا لَلرأي".

حَصافة عقل، وأصالة رأي، يتّسم بها هذا الجواب من أخت عَديّ، ليبادر بالسعي إلى صلاح أمره، إنك يا عَديّ إذا أردت أن تحافظ على بعض ما كان من شرفك في قومك، فلن يتمّ لك ذلك إلا من خلال هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ، فإن كان نبياً حقّاً فالشرف كله في اتباعه وسلوك طريقه، وإن كان مَلِكاً غير نبيّ –وقد تمكّن من جزيرة العرب–، فإن لأصحابه الأوس والخزرج شأناً عنده، وهم يمانيون، ولن يرضَوا لرجل من قومهم الهَوان، وكيف يرضَونه لك، وأنت أنت؟!، فالبِدار البِدار يا أُخيّ، قبل أن يسبقك من هو دونك فتندم، وقد شهدتُ للرجل سَخاوة يد، ونَداوة نفس، فلن يَخِيب مثلُك عنده.

فأُعجب عَديّ بهذه المشورة من أخته، واقتنع برأيها، واستجاب لنصحها، قائلاً: إنه الرأي يا أُخيّة!.

أثر التجرِبة:

كان للتجرِبة دور مُقَدَّر في هداية عَديّ بن حاتم، فقد فَرّ إلى بلاد الروم ليبتعد – بزعمه– عن المكروه، لكن التجربة علمته أن المكروه كلَّ المكروه في وُجهته:

حيث البعدُ عن القبيلة والعشيرة، وهل يصبر العربي على طول فراق قومه؟!، وبخاصة عَديّ بن حاتم، وهو القائل مرة لعشيرته الأقربين:

لأني من مساءتكم بعيدٌ كبعدِ الأرض من جوِّ السماء

وإني لا أكونُ بغير قومي فليس الدَّلْو إلا بالرِّشَاء(٨٦)

وحيث جهلُ أولئك القوم (الروم) بصنائع المعروف وإغاثة الملهوف، مع كبرياء وشدة تسلط، وغيرِها من مساوئ ومفاسد عاشها عَديّ في بلاد الغُربة، حيث تختلف

ثقافتها عن ثقافته، وأخلاقها عن أخلاقه، وعاداتها عن عادات قومه، وكأنه كان يتسمع فيها من آفاق المستقبل إلى قول المتنبي:

ولكنَّ الفتى العربـيَّ فيها غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ(٨٧)

فهذه التجربة المريرة، حركت كوامن عَديّ للعودة إلى أرض قومه، حيث حمايةُ الذِّمَار، وفَكُّ العاني، وقِرى الضيف، وإطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام.

همّ عَديّ بالعودة إلى عَرينه، لكن كيف يعود، وثَمّة صاحب الدين الجديد محمد ﷺ؟!، الذي سفّه أحلام مشركي العرب، وعاب آلهتهم المزعومة، وحطم أصنامهم، فدفع ذلك عَدياً إلى السؤال عن هذا النبي، واستكشاف أمره، والتعرف على دعوته، علّه يجد لنفسه مخرجاً. فنظر في الأمر، فتبيّن له أن ما كان يفعله أبوه من مكارم، إنما هو شعبة واحدة من الشعب الوفيرة الجليلة التي يدعو إليها محمد ﷺ، وليس أدل على هذا من صنيع النبي ﷺ مع أخته، ومن بَرّك فقد أوثقك، فضلاً عن تجمهر الناس حول هذا النبي، والمَوْرِد العَذْب كثير الزِّحام.

هكذا أزاح عَديّ عن عقله(٨٨) حَميّة الجاهلية، وشعار العصبية، ليستشرف بنفسه معالم الدعوة الجديدة، وحقيقة هذا الرجل ﷺ الذي ملأ اسمه البقاع!، هل هو مَلِك كسائر الملوك همّه الاستحواذ والغَلبة؟، أم أنه نبي حقاً خُلُقه الرحمة والإحسان؟.

انطلق عَديّ في رحلة التوفيق والهداية حتى بلغ المدينة المشرفة، ودخل على النبي ﷺ مسجده فسلّم عليه، وما أن سَمّى نفسه، حتى قام النبي ﷺ مرحباً به ومستبشراً، ومكرماً له، وقد كان عليه الصلاة والسلام يتطلع إلى إسلامه ويقول: "إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي"، فعَديّ جماعة في واحد، وقبيلة في رجل!.

فتحقّق الرجاء، واستجيب الدعاء، وانطلق به النبي ﷺ إلى بيته ليكرمه، وهو حفي به كل الحفاوة.

فالرفق بالمخالف لاسيما عند المقدرة، وذكرُه بخير، والترحيب به، والمبالغة في إكرامه، يأسر قلبه، ويؤلّف نفسه، ويحوِّله من مكابر إلى محاوِر، ومن ناشز إلى ناشد.

وَشِيجة الخُلُق:

بُعث النبي ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق، ويُقيم عِمادها، وكان للعرب باع في هذا المجال ورثوه وتعلّقوا به، وإن افتقدوا جوانب منه أخرى كثيرة.

وقد كان عَديّ من ذوي المروءات كأبيه، صاحبَ جود ونَجدة، يعرف لأهل المكارم فضلهم، فعلم بإحسان النبي ﷺ إلى أخته، وإطلاق سَراحها، وتجهيزها للعودة بالكُسْوة والنفقة والحُمْلان، وثنائه على خُلُق أبيها حاتم.

ثم اطلع عَديّ بنفسه على كمال خُلُق هذا النبي ﷺ، ومعرفته بأقدار الناس، وإنزالهم منازلهم، إذ حَفِي به ﷺ كل حَفاوة مع اختلاف الدين، وخصّه بأن توجّه به إلى بيته، وشاهد عَديّ من محمد ﷺ تواضعه الجمّ، ورحمته الواسعة، واحترامه للآخر، ومنحه الحرية الكاملة، وحسن محاورته له، كل ذلك أثّر في نفس عَديّ ودفعه إلى الإسلام، حتى صار يقول بلسان حاله قَولة حكيم العرب أَكْثَم بن صَيْفي التميمي لما دعا قومه إلى الإسلام: "إنّ الذي يدعو إليه محمد، لو لم يكن ديناً، كان في أخلاق الناس حسناً!"[٨٩].

فعَديّ لاحظ ذاك المُشْتَرَك الأخلاقي، الذي أكّده النبي ﷺ بقوله تأْرة، وبفعله تِثاراً، فتصعّد عَديّ من خلاله في سُلَّم الهداية، لاسيما عَبْر ذاك الحِوار المثمر مع نبي المرحمة ﷺ.

المطلب الثالث: حِوار الفِعال والمَقَال:

تمهيد: حِوار النبي ﷺ مع عَديّ بن حاتم هو أبرز معالم قصة إسلام هذا الرجل، وهو العامل الحاسم في اهتدائه إلى الحق، لذا أرى من المفيد التقديم بين يدي تحليل هذه المحاورة بكلمات عن الحِوار وسببه، واهتبال النبي ﷺ له، مع الإلماع إلى هدفه وضرورته، والإشادة بأجلّ خصائصه، لاسيما وأنني نوّهت به في عنوان البحث، فأقول:

لمّا كان الاختلاف والتنوع من سنن الله تعالى في خلقه، إذ فطرهم عليه، وجعلهم متباينين معنى ومضموناً، فضلاً عن الشكل والصورة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(هود ١١٨-١١٩)، لما كان الأمر كذلك، كان الحِوارُ بين البشر الوسيلةَ العظمى للتقارب، والسبيل الأنجح للتواصل. فبه يتلمّس المتحاورون القواسم المشتركة فيما بينهم، ليتمثّلوا من خلالها قيم التعاون والتآلف.

وسيرةُ النبي ﷺ مكتنزة بتلك المواقف الحِوارية الرائعة، قبل الهجرة وبعدها، مع الكافر والمسلم، والمنافق والمؤمن، والطالح والصالح، والمشرك والكتابي، واليهودي والنصراني، والعدو والصديق، والبعيد والقريب، والقوي والضعيف، والكبير والصغير، والجماعة والفرد. ولم يمتنع النبي ﷺ عن محاورة أحد مهما اشتدت عداوته للإسلام، لأنه ﷺ صاحبُ الدين الحق، والحق يعلو ولا يُعلى، ويحطم ما تحته، إذ توافقه الفطرة، ويشهد له العقل، ويؤيده الخُلُق، ويعضُده المعروف، ويُصدِّقه الواقع.

والحِوار مراجعة الكلام ومداولته بين طرفين قصد الوصول إلى الحق. فهدفه الأعلى: إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. فالحِوار إذاً مَرْكب مُوصِل، ومبدأ شريف، ومَطلب نبيل، ومسلك حضاري، لأن فيه اعترافاً بالآخَر، واحتراماً للعقل، وإطلاقاً للحريات، وهو وسيلة من وسائل تحقيق الكرامة الإنسانية.

كما أن الحِوار فطرة بشرية، وضرورة إنسانية، وسنّة إلهية، وفريضة دينية، وقاعدة قرآنية، وسيرة نبوية. وهو طريق العقلاء، ومنهج الحكماء.

وممن مميزات الحِوار أنه لا خصومة فيه ولا نزاع، لأن المتحاورَين يقصدان بمباحثتهما الوصول إلى الحق، وربما لم يتبين لأحدهما جانبُ الحق فيكون حينئذ التقارب، وفي كل خير، وقد نوّه أبو حامد الغزالي بذاك المَقْصِد من الحِوار من خلال تمثيل بديع، إذ قال: "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة، لا يُفرّق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقَه مُعيناً لا خَصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ، وأظهر له الحق"(٩٠).

ومن هؤلاء الذين فتحوا عقولهم للحِوار مع النبي ﷺ: عَديُّ بنُ حاتمِ الطّائيُّ، وذلك بعد إباء وعِناد، فشرح الله صدره للإسلام، وأنعم عليه بالهداية والتوفيق، فحاز بذلك الشرفَ الحق، والمَقْعَد الصّدق، في الدنيا والآخرة.

حوار الفِعال:

عندما كان عَديّ بن حاتم يصحب النبي ﷺ إلى بيته مُكرَماً، استوقفت النبي ﷺ امرأة من عُرْض الناس، ضعيفةٌ كبيرة السن، لا يؤبه عادة لأمثالها عند وجوه العرب والعجم على حد سواء، تسأله حاجتها، فوقف لها النبي ﷺ طويلاً حتى قضى ما تريد،

وعَديّ يتأمل ويراقب، ويتعجب ويتأثر، ويقول في نفسه: والله ما هذا بملك!، بل شتان ما بينه وبين الملوك؟!، وقُذف حبّ النبي ﷺ في قلبه جَرّاء هذا السمو الخلقي والتواضع الجَمّ، بعد أن كان قلبه يغلي بغضاً لهذا النبي وحقداً عليه.

ثم تابع عَديّ مسيره مع النبي ﷺ، فأدخله عليه الصلاة والسلام بيته في رائعة نادرة مع الوفود، زيادة في تألّف قلب عَديّ على الإسلام من جهة، وليرى عَديّ الدواخل بعد الظواهر من جهة أخرى، وأجلسه النبي ﷺ على وسادة، وجلس عليه الصلاة والسلام – بأبي هو وأمي– على الأرض، حينئذ لم يبق في نفس عَديّ أدنى ريب في أن محمداً ﷺ ليس بصاحب جاه أو سلطان، وقال في نفسه مرة أخرى: والله ما هذا بأمر مَلِك؟!.

نعم، ليس بمَلِك، بل لا يرضى أن يكون مَلِكاً، بل آثر عند تخييره أن يكون عبداً لله، يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد. وشَتّان بين المُلك والنبوة، في صفائها ولُطفها وأُنْسها ووَداعتها ورحمتها! ..وما شئت من ضَميمة خير.

إنه درس في التواضع واللين، والرحمة والرأفة، والتألّف وخفض الجناح. أدرك به عَديّ أيضاً أنه ليس بين يدَي بشر صَقَلته الرياضات النفسية والتجارب الخُلقية، وإنما في حَضْرة نبيّ اصطنعه ربه واصطفاه، وأدّبه فأحسن تأديبه، فتيقّن حينئذ حقيقة هذا الرجل المبارك، بعد أن كان يختبر أمره ليتحقّق من أيّ الوجهين اللذين ذكرتهما أخته إذ قالت: "فإن يكن الرجل نبيّاً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن مَلِكاً فلن تَذِلّ في عزّ اليمن، وأنت أنت!". فرأى عَديّ النبوة بأمّ عينيه، رآها في أفعال النبي ﷺ وأحواله وكلامه، وشاهدها في خاصة بيته وفي مَحْفل أصحابه، واحتظى عَديّ بتلك الفضيلة التي أرشدته أخته إليها، ونعمت الحُبْوَة والحُظْوَة!.

وهكذا ينبغي أن يكون المُحاور متواضعاً للناس، متلطفاً مع محاوره، محترماً له، مُتألّفاً لقلبه، حتى يكون للكلمة أثرها، وللدعوة قبولها، وللنصيحة طريقها، وقد كان النبي ﷺ على أتمّ ذلك كما شاهد عَديّ بنفسه ..وتلك محاورة عملية لطيفة.

حِوار المَقال:

انتقل النبي ﷺ بعَديّ بن حاتم من حوار الفعال، إلى حوار المقال، بعد أن تهيّأت نفس عَديّ لأن تُصدَع بالحق، ولخّص عليه الصلاة والسلام المطلوب في كلمة جامعة –وكرّرها ثلاثاً، على النهج النبوي التربوي–، لتكون المنطلق، مبتدأ بالأَولويّات: "يا عَديّ، أسلم تَسْلَم". براعةٌ في الاستهلال، مع بلاغة صافية، وتحريرٌ لمحل الحِوار، بتلك الكلمة الطيبة الناصحة، التي لا تهدف إلا إلى مصلحة المدعو، وليس من ورائها غرض لمحمد ﷺ إلا إنقاذ المخاطَب وتحقيق الأمن له، وهكذا دعوة الإسلام سِلْم وسلام، وأمن وإيمان، أسلم يا عَديّ تسلم، فبادر عَديّ بجواب كان يظنه فصلاً، أو يتوقعه عُذراً: إني على دين يا محمد!.

عندها أدار النبي ﷺ الحِوار ليناسب الدعوى والمَقام، متّصفاً عليه الصلاة والسلام بما صار يُسمّيه الناس اليوم (الموضوعية)، وذلك على مبدأ التنزيل الحكيم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(سبأ٢٤)، وفي هذا مراعاة لمشاعر المُحاوَر، وفتح لباب الحِوار على مصراعيه، وأدب كريم من آداب المناظرة، قلّما يتفطن له المتناظرون.

أنت يا عَديّ على دين، وأنا أيضاً على دين، فلننظر أيّنا على الحق؟!، فمن ظهر أنه على الحق كائناً من كان فهو الجدير بأن يُتَّبَع، رضيتَ يا عَديّ؟، وكيف لا أرضى يا محمد، وقد جئتك من ذاك المكان القَصي الحالِك، لا أنشد إلا الحق، ولا أصبو إلى

شيء سواه؟!.

يا عَديّ: أنا أعلم بدينك منك!. عجباً لك يا محمد!، أنت أعلم بديني مني؟!، كيف ذلك؟!، وأنّى لك هذا؟!.

فكان الجواب: إنك يا عَديّ لم تُخلص لنصرانيتك، ولم تصدق مع جاهليتك!، نصرانيتك تحرّم عليك أخذ تلك الغنائم، وأنت لا تتورع عن أخذها!، وجاهليتك التي جعلتك حكماً على قومك تتنافى مع نصرانيتك، فما بالك يا عَديّ؟!، أين المروءة والشرف والمكارم؟!، أجبني يا ابن حاتم!، فعلم عَديّ أنه حقّاً أمام نبيّ علّمه الله، فخشع وتأثّر، وتنبّه وتدبّر، وأدرك مدى الانفصام في شخصيته.

وهكذا ينبغي أن يكون المحاور عالماً بما يُحاور فيه، صادعاً بالحق، حَسَن المعاتبة، بعيداً عن المداهنة، حتى ينجح في دعوته، ويجمع الناس إليها، وما كثرة الفشل في المتحاورين إلا بسبب أن واحدهم يَهرِف بما لا يعرف، ويُلسن بما لا يُحسن، مع المداهنة والمُوارَبة، وهذا بعيد كل البعد عن منهاج النبوة القائم على العلم والبصيرة والنصيحة والصدع بالحق، مع الرِّفق والرحمة.

ذاك هو الحِوار العاقل، الذي يوصل إلى النتائج المحمودة، ويتوخى الأهداف المنشودة.

وتابع النبي ﷺ دعوته وحِواره: فهل من إله إلا الله ياعَديّ؟!، وهل من شيء أكبر من الله حتى تعبد غيره؟!، فكّر يا عَديّ وتأمّل، ودع عنك الأوهامَ، وأعطني جواباً صادقاً عاقلاً، بعيداً عن الهوى ومتحرِّراً من العصبية، إنك يا عَديّ بإعراضك عن الإسلام

تُعرض عن الفطرة التي فَطر الله الناس عليها!، وتُعاند في نسبة الأكبرية لله تعالى، التي لا يستحقها غيره!، فهو الخالق المدبّر الذي بيده مقاليد كل شيء.

لا أُريدك يا عَديّ إلا أن تستعمل عقلك وتغتنم رُشدك، فدين الإسلام لا إكراه فيه، فإن كنت تعلم شيئاً أكبرُ من الله حُقّ لك أن تعبده وتؤلّهه، لكنك يا عَديّ لن تجد أجلّ من الله ولا أعظمَ ولا أكبر، ومن بلغ هذا الوصف المطلق كان هو الحقيق بأن لا يُعبد غيره، ولا يُخضع لأحد سواه.

وعَديّ في كل هذا يُصغي ويُمعن، ويقول في نفسه: حقاً يا محمد، لا إله إلا الله، ولا شيء أكبر من الله. فلم الفرار إذاً يا عَديّ من الحق؟!، والحق أَبْلَج ..وهو قَمِين بأن يُتَّبَع. وهل من المروءة يا عَديّ أن تستمر على الباطل؟!، والباطل لَجْلَج ..وهو حقيق بأن يُقتلع.

يا محمد: هديتني وأرشدتني، وأزلت عن نفسي الحَيرة، وأوقفتني على الجادّة، و"لقد أذهب الله عز وجلّ ما كان في قلبي من حبّ النصرانية[٩١]" مِلّة أهل الكفر والضلال، فلله دَرّك يا ابن عبد الله.

المطلب الرابع: إزالة العوائق ودلائل النبوة:

كان النبي ﷺ يُقنع محاوره من جهة، ويزيل العوائق التي تمنع الكثيرين من اتباع الحق بعد معرفته من جهة أخرى، يزيح عن النفس الشوائب والشُّبَه برفق، ويقيم فيها صرح الحق على قرار متين. وهكذا النبوة تتجلى لها مفاتيح النفوس لتداوي كل نفس بدوائها، ويُضاء لها بعضُ سُدَف الغيب لتَظهر أعلامها ودلائلها.

إن من أسباب إعراضك وإحجامك يا عَديّ عن الدخول في الإسلام، ما تجده في نفسك من فقر أهله وفاقتهم، مقارنة بما كنت فيه من رَغَد جائر وثراء ظالم، وما شهدته عند عظماء الروم من فائض ثروة، وما سمعته عن كنوز الفرس الطائلة، فذاك العارض الذي يُحجمك يا عَديّ قريب الزوال!، فلا تخف من ذلك، "فوالله ليُوشِكن المال يفيض فيهم، حتى لا يوجد من يأخذه".

لقد أشفيتني يا محمد!، ومن ذا الذي أدراك ما يتردد في نفسي، حتى تُظهره وتُجيب عليه؟!، حقاً إنك لمنبّأ.

وتُحجم يا عَديّ عن الدخول في الإسلام، لما ترى من كثرة عدوهم (الروم والفرس)، وقلة عدد المؤمنين وخوفهم على أنفسهم. حقًا يا محمد هذا الذي أستشعره أيضاً وأتخوّفه، خذها يا عَديّ: "فوالله ليوشِكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف إلا الله". فسيفشو الأمن، حتى لا تخشى المرأة على نفسها ومالها ضرراً في السفر الطويل.

غريب يا محمد ما تقول!، قادسية الفرس ستكون قريباً بيد أهل الإيمان؟!، ثم أين دُعّار طيِّئ ولصوصها القادرون على الإفساد؟!، هم من قومي، وأنا أعرف الناس بهم، فكيف تسلك تلك المرأة سبيلهم آمنة مطمئنة، وهم الذين يُروّعون السبيل؟!. ويأتيه الجواب بلسان الحال: ما أقصر نظرك يا عَديّ!، وستجد قريباً مصداقَ ما أقول لك.

ويمنعك بَعْدُ يا عَديّ ضعفُ سلطان أهل الإسلام عن الدخول فيه، فتقول: عروش هناك، وعُشوشة هنا!. أجل يا محمد، هذا ما يدور في خَلَدي أيضاً، ويؤرّقني ويُثبّطني. فلا تبتئس يا عَديّ، فدوام الحال من المحال، "وايم الله ليوشِكَنَّ أن تسمع بالقصور

البيض من أرض بابل قد فُتحت". إنه إيذان بأُفُول ممالك الشرك والفساد كلّها، فارس التي اشرأبّت عظمتها ستُفتح، وتُستباح كنوزها!، نعم، كنوز كسرى العظيمة التي لا يُعرف لها نظير!.

لله دَرُّك يا محمد، لقد حدثتني بكل ما كان يجول في نفسي، ويتوارد على خاطِري، من خوف أن يُسْلمني الدخول في دينك إلى شَظَف العيش، وتخطّف الأعداء، وفقدان المُجِير، وتجرُّع كأس الذّلة والهَوان. لكنك وعدتني وعداً مرجواً، أشهده إن طال بي عُمُر، فوجهك لا يأتي إلا بخير، فلن أُنظرك في الإجابة حتى أتثبت من الوقوع الوشيك لما وعدت، بل أنا الآن على ثقة من وقوع ذلك كلّه، بعد أن عاينت جلال أمرك، فصدقك قد بلغ في نفسي كل مبلَغ، ودلائل نبوتك وضحت وضوح الشمس في رابعة النهار، وحبك ملأ قلبي وجوارحي، ولم يبق إلا أن أُسلم معك يا محمد لله رب العالمين، الذي ربّاك وعلّمك، واصطفاك وأكرمك، واجتباك وعظمّك. يا محمد، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

وطال عمر عَديّ بن حاتم ﷺ حتى شهد الوعد بعد الوعد، كما أخبر النبيُّ ﷺ، ولم يبق إلا أمر واحد لم يشهده عَديّ بنفسه، وتحقّق بعده في زمن عمر بن عبدالعزيز ﷺ، قال عبدالله بن عبدالحَكَم: "قال يحيى بن سعيد: بَعثني عمر بن عبدالعزيز على صَدَقات إفريقية، فاقْتَضيتُها، وطلبت فقراءَ نعطيها لهم، فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذُها مني، قد أغنى عمر بن عبدالعزيز النّاس، فاشتريت بها رقاباً، فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين"(٩٢).

كسب النبي ﷺ قلب عَديّ بلينه ورحمته وتواضعه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(آل عمران ١٥٩)، ضَمّه إلى رحاب التقوى والإيمان، ووضعه في حَظِيرة

القدس، وهداه السبيل، كل ذلك بتوفيق من الله تعالى، واتباع للنهج الذي رسمه للدعوة بالحوار الهادف ومجادلة الآخر بالحسنى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل١٢٥).

لقد تبدَّلَ حال عَديّ، بدأ أمرُه مع النبيِّ ﷺ بما كان ينفثه قولُه: "ما رجل من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني". وانتهى بالحبّ الكامل، وكأنه هو القائل: "يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغضَ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ". ومما يُعرب عن حبّ عَديّ لهذا الدين وشعائره قولُه: "ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء" وقولُه: "ما دَخَل وقتُ صلاة قطّ حتى أشتاقَ إليها".

المطلب الخامس: الثبات الراسخ:

استمر عَديّ على ثباته ويقينه، لا تُوهنه الأحداث رغم لَأْوائها، ولا تهزّه رياح الفتن العاتية، فبعد وفاة النبي ﷺ طمع الطامعون، وتطاول المُرجفون، وأرادت طَيِّئ أن تنكُص على أعقابها مع من نَكَص، لكن رَجُلَها المبارك عَديَّ بن حاتم الذي سَدّد الإيمان قلبه، وغمر اليقين فؤاده، حال بينها وبين ما صَبَت إليه نفسها من رِدّة، ووضعها بتوفيق الله تعالى على الجادّة بعد أن كادت تزلّ. وهكذا الكبار، صلاح أحدهم صلاح أمة من الناس!.

وقف عَديّ في قومه بعزيمة ماضية، رابط الجأْش، راسخ اليقين، وقال لهم: "يا معشر طَيِّئ، إنكم إن أقمتم على دين الإسلام أصبتم الدنيا والآخرة، وإن رجعتم عنه خسرتم الدنيا والآخرة، واستغنى الله عنكم. وعلمتم أن الله تبارك وتعالى قد قبض نبيكم محمداً ﷺ، وهذا خليفته قد قام بأمره في أمته، فوقّروا عليه صَدَقاتكم ولا تمنعوها، فإن

منعها يَمْحَق المال، ويُقرّب الأجل، وخِفّوا إلى قتال أهل الرِّدّة من أَسَدٍ وغَطَفَانَ وفَزَارَةَ، فإن الخليفة قد عزم على غزوهم، فإنكم أَقيالُهم(٩٣) في الجاهلية، وشُجعانهم في الإسلام، وأنتم اليومَ خيرٌ منكم أمسِ. والسلام"(٩٤).

فيا لها من كلمات بليغة صادقة!، ونصائح وجيهة نافذة!، صدرت عن قلب مخلص، وعقل وافر، ونفس قويّة، ومشاعر زكيّة.

ثم أردف عَديّ منشداً، ولا يُنكَر أثر النَّظْم في نفوس العرب!، قال:

"ألا إن هذا الدينَ أصبحَ أهلُه على مثلِ حدِّ السيف بعدَ محمدِ
ولا ذاك من ذُلّ ولا من مخافة على الدين والدنيا لإنجاز موعدِ
ولكنْ أُصبنا بالنبي فليلُنا طويلٌ كليلِ الأَرْمَدِ المُتَلَدِّد
وإنا وإن جاشَتْ فَزَارةُ كلُّها وذُبيان في موج من البحر مُزْبِدِ
وأجرى لهم فيها ذُبولَ غُروره طُليحةُ مأوى كل غاوٍ ومُلْحِدِ
نُغاورُهم بالخيل حتى نُقيمَهم بصُمّ العوالي والصَّفيح المُهَنَّدِ
وحتى يُقِرّوا بالنبوة أنها من الله حق والكتابُ لأحمدِ
وقد سَرّني منكم معاشرَ طَيِّئ حمايةُ هذا الدين من كل مُعتدِ
وبَيْعُكم أموالَكم ونفوسَكم رجاء الذي يجزي به الله في غَدِ
وإعطاؤكم ما كان من صَدَقاتكم بغير جِهاد من لسانٍ ولا يَدِ"(٩٥)

نَظْم يهزّ أعطاف النفس، ويقوّي العزائم، ويشحذُ الهِمم، ويقطع التردّد، ويحمل على الثبات واليقين.

لقد استطاع عَديّ بن حاتم ﷺ بتوفيق من الله تعالى وحده، أن يجمع قومه بعد أن كاد ينفرط عِقدهم، وينخرم أمرهم، ويتضعضع شأنهم، فأجابوه جميعاً ولم يرتدّ أحد منهم، وما كان ليَتِمّ له ذلك لولا صدق السريرة، وقوة الإيمان، ورجاحة العقل، وعزيمة النفس، وحكمة الرأي، حتى كان بحقّ: "خيرَ مولود ولد في أرض طَيّئ، وأعظمَه عليهم بركة".

الخاتمة

قصة إسلام عَديّ بن حاتم بوقائعها وتحليلها، بسَردها وتوجيهها، مكتنزة الفوائد، حفيلة بالعوائد، فهي مدرسة تربوية جامعة، ذات عِبَر مُنتجَبة، منها:

أن اجتماع أعداء الحق على باطلهم ومصالحهم الضيقة لا يدوم. وأن من اجتمعت فيه الصفات المتضادة سرعان ما ينكشف أمره، ويظهر عَواره. وأن قلة الأخيار في البدايات وضعفَهم لا يعني انتكاسة الحق، فمن سنن الله في الأشياء أن تقوى وتكبر وتكثر بعد الضعف والصغر والقلة. وأن الحق طالما أَسر القلوب مهما بلغت في غَيِّها وصدودها. وأن العاقبة للتقوى.

وفي كل هذا تقوية لعزائم أهل الحق، وشحذٌ لهممهم، وبعثٌ للأمل في نفوسهم. فلا يأس في الدعوة ولا مَلال، بل اندفاع واهتبال.

وتؤكد القصة: أن التجربة خيرُ قائد، وأخلص رائد، فبها يَميز الغَثّ من السمين، ويَنحاز الوَثيق عن الظَّنين. وأن الاحتكام إلى العقل، والتزام الموضوعية، ونبذَ العصبية، والتحررَ من إسار العادات، واستشارة أهل الرأي، كلها هي السبيل الأنجع للوصول إلى الحق.

كما تُلمع القصّة إلى: أن صنائع المعروف تقرّب بين النفوس وتُذهب الضغائن. وأن التواضع خُلُق محبّب يَرْدِم الهُوّة بين المتباعدين، وكذلك الرفق واللين. وأن استسلام المخالِف ينبغي أن يقابل باللطف والرحمة، لا بالاستعلاء والازدراء. وأن الإسلام يَعرف لذوي المقامات قدرهم، وإن لم يكونوا مؤمنين، فاهتداء أحدهم إلى الحق هو هداية أمة من الناس.

وتدل القصّة أيضاً على: أن الحوار النَّصيح مع الآخر يؤدي إلى نتائج محمودة، لاسيما إذا انطلق من خلال المُشْتَرَكات كمحامد الأخلاق، ومُنح الآخر الحرية التامة وعُومل بالنِّدية. وتدلّ القصة على أن علم المُحاوِر بمحاوره له آثار باهرة. وأن تلخيص المطلوب في كلمات جامعة، وتحرير محل الحِوار، يساعد على سرعة الإدراك والاستجابة من الطرف الآخر. وأن المحاوِر الناجح عليه أن يزيل العوائق الصادّة من نفس محاوره. وأنه لا مَنْدُوحة عن الحوار في معايشة الناس والاتصال بهم، فبه يكون التقارب والتعاون، وبفقده يقع التحاقد والتصادم.

كما تنجلي القصة عن متفرقات أخرى، منها: أن من أبلى في سبيل الإسلام بلاء حسناً ينبغي أن يُقدّر بلاؤه، وأن يُحمد ثَبَاته. وأن ثقافة الغَرْب تختلف عن ثقافة الشرق، فثمّة فرق واسع بين ثقافة الروم المخلولقة، وثقافة العرب المتخلّقة –بصورة ما– في جاهليتهم.

وتنطوي القصة أولاً وآخراً على أن الدعوة الأتم هي دعوةُ التوحيد، التي بها يستوي الناس في عبوديتهم لله تعالى، والتي هي نداء الفطرة، وعنوان السعادة، لا إكراه فيها ولا استعلاء.

فخليق بالمؤمن أن يتدبر هذه الدروس المُجلّلة بأخلاق النبوة ودلائلها، والمقتبسة من أنوار الرسالة وشمائلها، والمُدبّجة بصفاء العقل الذي أودعه الله في هذا الإنسان، ليعيد المؤمن تشكيل واقعه على ذاك الهدي، وليجدد العهد وَفْق تلك البصائر. والله ولي التوفيق.

الهوامش

(١) السيرة النبوية ..أهميتها أقسامها مقاصد دراستها للدكتور محمد بن صامِل السّلمي ٨.

(٢) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ٢/٥.

(٣)يعني التفسير بالمأثور، وبخاصة تفسير القرآن بالحديث.

(٤) المجتمع المدني في عهد النبوة ٢٧، ٣٦-٣٧.

(٥) البداية والنهاية ٥/٧٧.

(٦) المجتمع المدني في عهد النبوة ٤٢-٤٣، ٤٦-٤٧. وقد خرّجتُ بعض الروايات مما نُشر من مغازي ابن إسحاق، لكن مما زاده عليه تلميذه يونس بن بُكير. وينظر كتاب رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسِّيَر وسائر المرويّات لمطاع الطَّرابيشي ١٠٧، ١٣٤.

وأشير إلى أن ابن إسحاق وزياد البَكّائي ويونس بن بُكير وابن هشام كلهم يحتج بهم في باب السِّيَر.

(٧) المجتمع المدني في عهد النبوة ٤٧-٤٨.

(٨) قال ابن حجر في فتح الباري ٨/٤١٤ أول شرح حديث (٣٥١٧): "وإلى قحطان تنتهي أنساب أهل اليمن، من حِمير وكِنْدة وهَمْدان وغيرهم".

(٩) والجبلان المذكوران يقعان اليوم في مِنطقة حائل شَمال المملكة العربية السعودية، وتقع مدينة حائل بين هذين الجبلين. أطلس الحديث النبوي لشوقي أبو خليل ١١٢، ٢٤٨. وينظر عن سبب تسمية الجبلين بالاسم المذكور: الرَّوض الأُنُف للسُّهَيلي ٧/٣٩٥-٣٩٦، ومعجم البلدان لياقوت الحَمَوي ١/٩٤-٩٥.

(١٠) قبيلة طَيِّئ في الجاهلية والإسلام لعبد القادر حرفوش ١٩، ٩٦، وديوان شعر عَديّ بن حاتم الطّائي مع سيرة حياته في الجاهلية والإسلام لعبد اللطيف حمودي الطّائي ١١. والفُلْس بضم الفاء وسكون اللام، كما في النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير ٧١٧، ويقال: بكسر الفاء، كما في القاموس المحيط ٧٢٧.

(١١) وكان حاتم يكنى بها، فيقال له: أبو سَفّانة. الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٤١، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٣/٤٠.

(١٢) المغازي للواقدي ٩٨٤/٣، ٩٨٨، والسيرة النبوية لابن هشام ١٢٢٨/٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٢، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٧٦/٢-٤٧٧، والكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير ٦٤٠/١-٦٤١، وتاريخ الإسلام ووَفَيات المشاهير والأعلام للذهبي ٤١٩/١، وسُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي ٣٣٤/٦-٣٣٥.

(١٣) تقع (فَيْد) في منتصف طريق مكة المكرّمة من الكوفة، وهي شرقي جبلي طَيِّئ، وهي اليوم في مِنطقة حائل. معجم البلدان لياقوت ٢٨٢/٤، وأطلس الحديث النبوي ٢٤٨.

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٢٢٧. وقد أخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي في دلائل النبوة ٣٣٧/٥-٣٣٨، ومن قبلُ الطبري في تاريخه ٤٨٨/٢، بإسناد معضل، وقد توبع لكن بطريق واه. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٣٧، كما ينظر البداية والنهاية لابن كثير ٧٥/٥.

هذا، وقد قيل: إنّ زيداً توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. الإصابة في تمييز الصحابة ٥٧٣/١.

(١٥) تاريخ الطبري ٥٢٧/٢.

(١٦) المصدر السابق ٥٢٣/٢، ٥٢٧-٥٢٩، والكامل في التاريخ ٢٢/٢، ٢٤-٢٥، وتاريخ الإسلام ٢٣/٢.

(١٧) تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها ٥٤٦/١.

(١٨) ورث عَديّ بن حاتم خُلُق الجود عن أبيه، ومما يُحكى عن جُود الابن ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٨٨/٤٠، عن عامر الشَّعْبي قال: "أرسل الأشعث بن قيس إلى عَديّ بن حاتم يستعير قُدور حاتم، فملأها، وحملتها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث، إنما أردناها فارغة، فأرسل إليه عَديّ: إنا لا نُعيرها فارغة!". وينظر في جُوده الواسع العِقد الفريد لابن عبد ربه ٢٦٠/١-٢٦١، ١٩/٤-٢٠.

هذا، ومن صفات عَديّ أيضاً أنه كان ممن بذّ الناس طُولاً وجَمَالاً. الكامل للمبرِّد ٦٤٢/٢.

وأما جُود الأب فهو مضرب المَثَل، وينظر فيه العِقد الفريد ٢٤٢/١-٢٤٤، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ٩٧-٩٩.

(١٩) وقيل: توفي سنة ست وستين، وقيل: عاش مئة وثمانين سنة. تاريخ الإسلام ٦٨٠/٢.

(٢٠) الإصابة في تمييز الصحابة ٤٦٨/٢. وجاء في سير أعلام النبلاء ١٦٣/٣ وتاريخ الإسلام ٦٧٨/٢، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٣٧٥٩): أنه وفد على النبي ﷺ وأسلم سنة سبع، وذلك في وسطها كما في السير، وفي شعبان منها كما في تاريخ الإسلام. ولا شك أن كلمة (سبع) صُحِّفت على الذهبي عن: (تسع).

(٢١) هي بلدة بالجزيرة، تسمى اليوم (البُصَيْرة)، وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة دير الزور، وشَمال الرَّحْبة، وذلك عند التقاء نهر الخابور بنهر الفرات، وهي في قلب محافظة دير الزور. والنسبة إليها القَرْقَساني. الأنساب لأبي سعد السَّمْعاني ٣٨٤/١٠، ومعجم البلدان ٣٢٨/٤، وعدد من الخرائط الجغرافية.

(٢٢) ينظر تاريخ الإسلام ٦٧٨/٢، وسير أعلام النبلاء ١٦٣/٣. لكن ابن سعد في الطبقات الكبرى ٩٩/٦ ذكر أنه مات بالكوفة. وقال الخطيب في تاريخ مدينة السلام ٥٤٦/١-٥٤٧: "وشهد مع علي الجَمَل وصِفّين والنَّهْروان، ومات بعد ذلك بالكوفة، ويقال بقَرْقِيسيا". ثم أخرج الخطيب في تاريخه ٥٤٨/١ من طريق ابن المديني قال: "حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن المغيرة، قال: خرج عَديّ بن حاتم وجرير بن عبد الله البَجَلي وحنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قَرْقِيسيا، وقالوا: لا نُقيم ببلد يُشتم فيه عثمان. -(قال الخطيب)-: قال لي محمد بن علي الصُّوري: أنا رأيت قبورهم بقَرْقيسيا". وهذا الأخير أشبه، لأن من عَرَف حجة على من لم يعرف، لاسيما وأن للانتقال مُبَرِّراً قويّاً، وكانت الكوفة أواخر حياة عَديّ بن حاتم في قبضة السَّبَئي المختار بن أبي عُبيد الثَّقَفي، وقد هَمّ عَديّ بالخروج عليه، لكن حال دون ذلك ضعف جسمه وكِبَر سنه. ديوان شعر عَديّ بن حاتم الطّائي ٧١-٧٢.

(٢٣) أي أنه كان يأخذ ربع الغنائم التي يحوز عليها قومه في غاراتهم، جرياً على عادة الرؤساء في الجاهلية. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير ٣٤١.

(٢٤) أي كره دعوته ورسالته.

(٢٥) حدّد الخطيب البغدادي وجهة عَديّ لما فرّ، ففي تاريخ مدينة السلام ٥٤٦/١ عند ذكر الصحابة الذين وردوا المدائن، ومنهم عَديّ بن حاتم: "كان نصرانياً، فلما بلغه أن النبي ﷺ قد بَعث أصحابه نحو جَبل طَيِّئ، حمل أهلَه إلى الجزيرة فأنزلهم بها".

(٢٦) أي في الحَيِّ والرَّبْع، حيث كان يُقيم. وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير ٢١٤.

(٢٧) السيرة النبوية لابن هشام ١٢٢٨/٤. وأخرجه الطبري في تاريخه ٤٧٧/٢. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٤٣-٦٤٤ عن الواقدي بسياقة أتم.

(٢٨) أخرجه يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٧، واللفظ له، وأبو نُعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ٤٧٤، كلاهما من طريق عبدالأعلى بن أبي المُسَاور -وهو متروك الحديث-، عن الشَّعبي، عن عَديّ.

(٢٩) أخرجه يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٧، وأحمد في المسند (١٨٢٦٠)، واللفظ له، كلاهما من طريق أبي عُبيدة بن حذيفة بن اليمان عن رجل عن عَديّ. وبمعناه رواية عند أحمد في المسند (١٩٣٧٨)، سمعها أبو عُبيدة بن حذيفة من عَديّ نفسه بعد أن كان رواها بواسطة. وأبو عُبيدة قال فيه ابن حجر في تقريب التهذيب (٨٢٢٩): "مقبول". أي أن حديثه حسن لغيره.

(٣٠) أخرجه يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٧، من طريق عبدالأعلى بن أبي المُسَاور عن الشعبي عن عَديّ. وعبدالأعلى متروك كما تقدم.

(٣١) أي عاقلة حازمة، ذات أصالة في الرأي.

(٣٢) زاد ابن إسحاق هنا -كما في السيرة النبوية لابن هشام ١٢٢٨/٤-: "فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان الغد مرّ بي". أي أن مراجعتها للنبي ﷺ كانت ثلاث مِرار، وهو الأظهر.

(٣٣) الظَّعِينة: قال الفَيروزاباذي في القاموس المحيط (مادة ظعن): "والظَّعِينة الهَوْدَج فيه امرأة أم لا...والمرأة ما دامت في الهَوْدَج". وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٨٠. وأما الكلمة التالية: (تَصُوب إليّ)، فُسرت بالكلمة التي بعدها: (تَؤُمُّنا). أي تقصدنا.

(٣٤) المراد: جَرَت في لومها وعتبها وتأنيبها. ينظر القاموس المحيط (مادة: سحل).

(٣٥) تعني الأنصار (الأوس والخَزرج).

(٣٦) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٧٧/٢ من طريق محمد بن إسحاق، كما نقله عن ابن إسحاق ابنُ هشام في السيرة النبوية ١٢٢٨/٤-١٢٢٩. وقد أخرج هذه الحكاية من طريق آخر ابن سعد في الطبقات الكبرى (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٤٤-٦٤٥ بسياقة أتم، رواها عن شيخه الواقدي. وينظر المغازي للواقدي ٩٨٨/٣-٩٨٩.

(٣٧) تاريخ مدينة السلام ٥٤٦/١.

(٣٨) لم يتبيّن لي تحديد هذا الموضع، ولعله (العقربة)، التي نقل ياقوت أنها ماء لبني أَسَد. معجم البلدان ١٣٦/٤. وديار طَيِّئ في جوار ديار بني أسد. أو أنه (عَقْرباء)، وهي كُورَة من كُوَر دمشق كان ينزلها الملك الغَسّاني، أو قرية من قرى دمشق. تاج العروس من جواهر القاموس (مادة عقرب). والأول أشبه.

(٣٩) مرادها: أنها لا تقوى على عمل، بل تحتاج إلى من يخدمها، وكأنها تقول: أنا عِبْء عليكم لا رِدْء.

(٤٠) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٣٨١) مطوّلاً، واللفظ له، والتِّرمذي في جامعه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٣١٨٧) مختصراً مع الإشارة إلى طوله، وابن حبان في صحيحه -كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بَلْبَان- (٧٢٠٦) مطوّلاً، كلهم من طريق شعبة عن سِمَاك بن حَرب عن عَبَّاد بن حُبَيش عن عَديّ.

وقد أخرجه التِّرمذي في جامعه أيضاً (٣١٨٦) من طريق عمرو بن أبي قيس عن سِمَاك به، من غير ذكر العمّة وقصتها، وفي أوله: "أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عَديُّ بن حاتم!، وجئتُ بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدِي، وقد كان قال قبلَ ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي". وفي وسطه: "ثم أَمَر بي فأُنزلت عند رجل من الأنصار، جعلتُ أغشاه آتيه طَرَفي النهار". وعلّق التِّرمذي في آخر هذا الحديث بقوله: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سِمَاك بن حَرب". وسِمَاك قال فيه ابن حجر في تقريب التهذيب (٢٦٢٤): "صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربةٌ، وقد تغيّر بأَخَرة فكان ربما تلقّن". وقال السُّهَيلي في الرَّوْض الأُنُف ٤٧٧/٧: "وحديث إسلامه -(يعني عَديّاً)- صحيح عجيب، خرّجه التِّرمذي".

(٤١) "أي كَبِرتْ، ومضى معظم عُمرها". النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٣. وقال أبو سليمان الخَطّابي في أعلام الحديث ١١٤٥/٢: "وقوله: امرأة قد خَلَا منها. يريد أنها مُسنّة، قد خَلَا منها عُمرها".

(٤٢) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (١)، بسند فيه إسحاق بن إدريس الأُسْواري، وهو متروك الحديث، لسان الميزان (٩٩٨). لكن أصل الحديث قوي كما عرفتَ.

(٤٣) أي ما يلزم الإنسان حفظه مما تعلّق به. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٣٠.

(٤٤) أي الأسير. المصدر السابق ٦٤٧.

(٤٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٤١/٥. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٨٠/٥ :"هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جداً، عزيز المخرج".

(٤٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٣١٨٦) مطوّلاً، من طريق عمرو بن أبي قيس عن سِماك بن حرب عن عَبّاد بن حُبيش عن عَديّ. وقد تقدم.

(٤٧) أي ملازم لي، ومهتم بي.

(٤٨) قال مجد الدين بن الأثير في النهاية ٣٧٤: "الرَّكُوسِيَّة: هو دين بين النَّصارى والصَّابئين".

(٤٩) بلدة في العراق ناحية الكوفة، وفيها كانت موقعة القادسية الشهيرة، معجم البلدان ٢٩١/٤-١٩٢، وأطلس الحديث النبوي ٢٩٩.

(٥٠) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٧٧/٢ بسند فيه مبهم. وأورده ابن هشام في السيرة ١٢٢٩/٤-١٢٣.

(٥١) المصدران السابقان.

[٥٢] قال ابن حجر في فتح الباري ٥١٨/٨: "الحِيرة...كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس، وكان ملكهم يومئذ إياس بن قبيصة الطّائي، وليها من تحت يد كسرى بعد قتل النعمان بن المنذر".

والحِيرة بلد بالعراق قرب الكوفة، وقد تلاشت الحِيرة بعد أن عُمرت الكوفة. معجم البلدان لياقوت ٣٢٨/٢، وأطلس الحديث النبوي ١٥٧.

[٥٣] أخرجه يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٧-٢٦٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٤٩-٦٥٠، وأحمد في مسنده (١٨٢٦٠)، واللفظ له، ثلاثتهم من طريق أبي عُبيدة بن حذيفة بن اليمان عن رجل عن عَديّ. وبمعناه رواية عند أحمد في المسند (١٩٣٧٨) سمعها ابن حذيفة عن عَديّ من غير واسطة. فالحديث مقبول كما تقدم.

[٥٤] أخرجه يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٧-٢٦٨، وأحمد في مسنده (١٨٢٦٠)، واللفظ له، كلاهما من طريق أبي عبيدة بن حذيفة بن اليمان عن رجل عن عَديّ.

[٥٥] قال ابن حجر في فتح الباري ٥١٨/٨: "الدُّعَّار جمع داعر...وهو: الشاطر الخبيث المفسد...والمراد قطاع الطريق، وطَيِّئ قبيلة مشهورة...وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مرّ عليهم بغير جِوار، ولذلك تعجَّب عَديّ كيف تمرّ المرأة عليهم وهي غير خائفة. قوله: (قد سَعّروا البلاد): أي أوقدوا نار الفتنة، أي: ملؤوا الأرض شراً وفساداً". وقال في مقدمة الفتح ٢٢١: "سَعّروا البلاد: بتشديد العين...أي ألهبوها كالتهاب السعير".

[٥٦] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٥). قال ابن حجر في فتح الباري ٥١٩/٨: "قوله : (فلا يجد أحداً يقبله منه): أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان، تقدم...قول من قال: إن ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبدالعزيز، وبذلك جزم البيهقي...ولا شك في رجحان هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث: (ولئن طالت بك حياة)".

[٥٧] صحيح البخاري (٣٥٩٥).

[٥٨] أي: ما الذي حملك على الفرار والبعد عن الإسلام؟!.

[٥٩] تقدم تخريجه عن أحمد والترمذي وابن حبان وسط المطلب الثالث.

[٦٠] أي دون أمان.

[٦١] أي رَقّ له، وأشفق عليه.

[٦٢] من أواخر ملوك العرب بالحِيرة من قِبَل كسرى. الكامل في التاريخ ٣٠٨/١-٣١٢.

[٦٣] وتقدم هذا من وجه آخر أيضاً، لكن جاء في رواية التِّرمذي في جامعه (٣١٨٦): "فألقت له الوليدةُ وِسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه". ويمكن الجمع بين الروايتين بأن النبي ﷺ بعد أن قعد على الأرض ألقت إليه الجارية وِسادة فجلس عليها. ومن له أقلّ عناية بأدب النبي ﷺ لا يشك في أنه عليه الصلاة والسلام أكرم ضيفه الوافد بذلك، لاسيما وأنه ضيف مُميّز خُصّ بدعوة النبي ﷺ له إلى بيته.

[٦٤] أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (١)، وتقدم الكلام على سنده.

[٦٥] تاريخ مدينة دمشق ٦٨/٤٠، ٧٨، ٧٩، وزاد المَعَاد في هدي خير العباد ٥٠٩/٣.

[٦٦] تاريخ مدينة دمشق ٦٩/٤٠. وأما ما ذُكر في عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبَقِيّ بن مَخْلَد – ترتيب ابن حزم الظاهري– ص ٨٤ من أن لعَديّ بن حاتم ستة وستين حديثاً فهو مع المكرر.

[٦٧] أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٨٦/٤٠- ٨٧.

[٦٨] أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ٨٦/٤٠.

[٦٩] تاريخ الطبري ٥٢٧/٢.

[٧٠] قال ابن حجر في فتح الباري ٧٢٣/٩: "يشير بذلك إلى وفاء عَديّ بالإسلام والصدقة بعد موت النبي ﷺ، وأنه منع من أطاعه من الرِّدّة، وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح".

[٧١] "أي: إذا كنت تعرف قَدْري، فلا أبالي إذا قَدَّمتَ عليّ غيري"، كما قال ابن حجر في المصدر السابق.

(٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب قصة وفد طَيِّئ وحديث عَديّ بن حاتم (٤٣٩٤). كما أخرجه من وجه آخر يونس بن بُكير في زياداته على المغازي لابن إسحاق ٢٦٨.

(٧٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم ٧٧/١٦ : "أي: سرّتهم وأفرحتهم".

(٧٤) أخرجها أحمد في مسنده (٣١٦) بإسناد رجاله ثقات. وقد أخرج القطعة الأخيرة منها: "إن أول صدقة بَيَّضَتْ..." مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل غِفار وأَسْلم وجُهينة وأَشْجع ومُزَيْنة وتَميم ودَوْس وطَيِّئ (٢٥٢٣).

(٧٥) وقد أعطاه أبو بكر ﷺ منها ثلاثين بعيراً. وينظر عن وجه هذا العطاء الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٥٦، والسنن الكبرى للبيهقي ١٩/٧-٢٠ مع تعقيب ابن التركماني في الجوهر النقي على سنن البيهقي ٢٠/٧.

(٧٦) تاريخ مدينة دمشق ٨٠/٤٠.

(٧٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٥٧، وقد سبق أن الواقدي متروك، لكن ابن سعد كان يحرص على الانتقاء عنه.

(٧٨) تاريخ الطبري ٥٢٧/٢. وينظر الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٥٤-٦٥٥.

(٧٩) الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة) ٦٥٥. وتاريخ مدينة دمشق ٨١/٤٠.

(٨٠) تاريخ مدينة السلام ٥٤٦/١، وتاريخ الإسلام ٦٨٠/٢.

(٨١) العِقد الفريد ١١٣/٤.

(٨٢) المصدر السابق ١٢٠/٤.

(٨٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب وفد بني حَنيفة وحديثِ ثُمامة بن أُثَال (٤٣٧٢).

(٨٤) الصِّحاح للجوهري (مادة سلا).

(٨٥) ديوان أبي الطيّب المتنبي ٣٣٩/٢.

(٨٦) كتاب المُعَمَّرين لأبي حاتم السِّجِسْتاني ٧١. وصار الشطر الأخير مثلاً يُضرب، قال أبو الفضل المَيداني في مجمع الأمثال ١٨٨/٢: "ليس الدَّلْو إلا بالرِّشَاء: أي لا يستقي لك الدَّلْوُ إذا لم يُقرن بالحَبْل، يُضرب في تَقَوِّي الرجل بأقاربه وعشيرته".

(٨٧) ديوان أبي الطيّب المتنبي ٤٥٢/٢.

(٨٨) وكان عَديّ يُعنى بالمحافظة على عقله، إذ لم يكن في الجاهلية يشرب الخمر، لكونها تذهب بالعقل، وتُخلّ بالمروءة. العِقد الفريد ٥٢/٨.

(٨٩) مجمع الأمثال لأبي الفضل المَيداني ٣٦٧/٢.

(٩٠) إحياء علوم الدين ٧٤/١.

(٩١) ويبدو أن عدياً كان معتزاً بهذا الدين النصراني، قبل أن يشرح الله صدره للإسلام، ومما يدل على هذا الاعتزاز تعليقه الصليب في عنقه لمّا ورد على النبي ﷺ، قال عَديّ: "أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عديُّ، اطرح عنك هذا الوَثَن". أخرجه الترمذي مطوّلاً في جامعه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة التوبة (٣٣٥٢)، وقال: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حَرب، وغُطيف بن أَعْيَنَ ليس بمعروف في الحديث". وغُطيف هو شيخ عبد السلام في هذا الحديث، قال ابن حجر في غُطيف من تقريب التهذيب (٥٣٦٤): "ضعيف".

(٩٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز ٦٥.

(٩٣) يعني: ملوكهم.

(٩٤) الرِّدّة المنسوب للواقدي (والصواب أنه جزء من كتاب الفتوح لأبن أعثم) ٦٣-٦٤.

(٩٥) الرِّدَة المنسوب للواقدي ٦٤. والمتلدِّد هو المتحيِّر، وجاشت بمعنى تمرّدت، وذُبول أي يَبَاس، ونُغاورهم معناها نُغير عليهم، والعوالي هي الرِّماح، والصَّفيح عَرْض السيف.

فهرس المصادر والمراجع

١) الأحاديث الطِّوال للطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت٣٥٤هـ) لابن بَلْبان (ت٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، نشرة دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي.

٤) إزالة الخَفَاء عن خلافة الخُلفاء لوليّ الله الدِّهْلَوي (ت١١٧٦هـ)، تحقيق تقي الدين النَّدْوي، تعريب جاويد أحمد النَّدْوي وفيروز أَخْتَر النَّدْوي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر ببيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦) أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة لشوقي أبو خليل، دار الفكر بدمشق، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧) أعلام الحديث –شرح صحيح البخاري– لأبي سليمان الخَطّابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق محمد بن سعد آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٨) الأنساب لأبي سعد السَّمْعاني (ت٥٦٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدَّكَن في الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩) البداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، دار أبي حيان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٠) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق جماعة من أهل اللغة، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١١) التاريخ (تاريخ الأمم والملوك) لابن جَرير الطبري (ت٣١٠هـ)، اعتناء نواف الجراح، دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢) تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام للذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٣) تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن عَسَاكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمر بن غرامة العَمْروي، دار الفكر ببيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٤) تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواريديها لأبي بكر الخطيب (ت٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عَوّامة، دار اليُسر بالمدينة المنورة ودار المنهاج بجُدَّة، الطبعة التاسعة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٦) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة.

١٧) الجامع (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل) لأبي عيسى التِّرمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، شركة الرسالة العالمية بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٨) الجوهر النقي على سنن البيهقي لابن التركماني (ت٧٥٠هـ)، نُشر بذيل السنن الكبرى للبيهقي، دار المعرفة ببيروت.

١٩) دلائل النبوة لأبي نُعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدَّكَن في الهند، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢١) ديوان شعر عَديّ بن حاتم الطّائي مع سيرة حياته في الجاهلية والإسلام لعبد اللطيف حمودي الطّائي، دار الهلال بدمشق، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢٢) ديوان أبي الطيِّب المتنبي (ت٣٥٤هـ)، ضمن كتاب العَرف الطيِّب في شرح ديوان أبي الطيِّب لناصيف اليازجي وابنه إبراهيم، دار صادر ببيروت.

٢٣) الرِّدّة للواقدي[٩٥] (ت٢٠٧هـ)، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٤) رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويّات لمُطاع الطَّرابيشي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ودار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٥) الرَّوض الأُنُف للسُّهيلي (ت٥٨١هـ)، اعتناء عمر السّلامي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٦) زاد المَعَاد في هدي خير العباد لابن القَيِّم (ت٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت، الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٧) زيادات يونس بن بُكير (ت١٩٩هـ) على المغازي لابن إسحاق (ت١٥١هـ)، ضمن كتاب سيرة ابن إسحاق (المغازي)، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
٢٨) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق الترزي والعزباوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢٩) السنن الكبرى للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار المعرفة ببيروت.
٣٠) سير أعلام النبلاء للذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لعبدالله بن عبدالحَكَم المصري (ت٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، دار عالم الكتب ببيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٣٢) السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، دار المغني بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣٣) السيرة النبوية ..أهميتها أقسامها مقاصد دراستها لمحمد بن صامِل السّلمي، دار ابن الجوزي بالدمام في السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣٤) الصِّحاح (تاج اللغة وصِحاح العربية) للجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٥) الصحيح (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للبخاري (ت٢٥٦هـ)، اعتناء سيد الجليمي وأيمن الدمشقي، دار أبي حيان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٣٦) الصحيح (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) لمسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠هـ)، اعتناء محمد عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. والقسم المتمِّم، الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، تحقيق عبد العزيز السلومي، مكتبة الصديق بالطائف في السعودية، ١٤١٦هـ.
٣٨) عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبَقِيّ بن مَخْلَد (ت٢٧٦هـ) ترتيب ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ضمن كتاب بَقِيّ بن مَخْلَد القرطبي ومقدمة مسنده، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٩) العِقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد قميحة وعبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٤٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حَجَر العَسْقَلاني (ت٨٥٢هـ)، اعتناء سيد الجليمي وأيمن الدمشقي، دار أبي حَيّان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤١) القاموس المحيط للفَيروزاباذي (ت٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٢) قبيلة طَيِّئ في الجاهلية والإسلام لعبد القادر حرفوش، دار البشائر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٣) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد عَوّامة، دار اليُسر بالمدينة المنورة ودار المنهاج بجُدَّة، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤٤) الكامل لأبي العباس المبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٥) الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ)، مؤسسة التاريخ العربي ببيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤٦) كتاب المُعَمَّرين لأبي حاتم السِّجِسْتاني (ت٢٥٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة المعارف ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤٧) لسان الميزان لابن حجر (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٨) المجتمع المدني في عهد النبوة ..خصائصه وتنظيماته الأولى (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد الروايات التاريخية) لأكرم ضياء العُمري، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤٩) مجمع الأمثال للمَيْداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بصيدا في لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٠) المسند لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٥١) معجم البلدان لياقوت الحَمَوي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر ببيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٥٢) المغازي للواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، اعتناء علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي بالدَمّام في السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ.

٥٤) الواقدي وكتابه المغازي ..منهجه ومصادره لعبدالعزيز السَّلُومي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

Abstract

Disagreement is inherent in man's nature and the only means of communication between the disputing parties is dialogue through which people resort to reason rather than to whims and traditions. Dialogue is one of the values that Islam called for and advocated. It is also a way for calling for Allah. A close examiner of the Prophetic Sunnah will notice that it was full of dialogues through which many people embraced Islam; chief among which was Uday bin Hatim Al-Ta'i, who was the leader of his tribe. After the dialogue between Uday and the Prophet, Uday embraced Islam and thus he was saved from wrong doing. The story of his embracing Islam was full of lessons for those who are confused about their faith, and for those who call for Allah. This research presented and analyzed the story of Uday's embracing of Islam because it was a minaret for callers to Allah and a model for dialogues with others. The story also revealed the great and noble manners and wisdom of the Prophet.